ماركيز، بورخيس، ألليندي
أستورياس، وآخرون.

قصص من أمريكا اللاتينية



ترجمة
عبدالهادي سعدون
ملك صبيوني

قصص من أميركا اللاتينية

* قصص من أميركا اللاتينية

* ترجمة: عبد الهادي سعدون، ملك صهيوني

* الطبعة الأولى 1999

* الناشـــــر : ورد للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع

سوريـــة ـ دمشق ☎ 3321053

* الاستشارة الأدبية : حيدر حيدر

* لوحـــــة الغلاف: د. أحمد معلا

* الإشـــراف الفني : د. مجد حيدر

* الإخـــراج الفني : دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع

* التـــــوزيع : دار ورد ☎ 3321053 ص.ب 4490

ماركيز، بورخيس، ألليندي،
أستورياس، وآخرون

قصص من أميركا اللاتينية

ترجمة:
عبد الهادي سعدون
ملك صهيوني

تقديم

لماذا قصة أميركا اللاتينية المعاصرة؟

أثناء ترجمة هذه المنتخبات القصصية، استوقفني سؤالان هامان هما: هل هُناك رابط مشترك فاعل بين أدباء دول القارة لتسميتهم بذلك؟ والآخر هل هناك حاجة لترجمة منتخبات قصصية شاملة لأميركا اللاتينية باللغة العربية؟ ولأسمح لنفسي بالإجابة على هذين السؤالين ولو بشيء من الاختصار.

يبدو أن الخلاف مازال مستمراً حول إدراج أدباء هذه الدول العديدة، ووضعها في هذا المربع الصغير نسبياً (قياساً لإنتاجهم الأدبي)، وكثيراً ماتناولت الدراسات سواء من قبل الأدباء أنفسهم أوالنقاد هذه الإشكالية التي ماتزال تجد صدى سواء داخل أو خارج الوسط الأدبي. تُرى هل اللغة هي الدليل الكافي لتوحيد هذا الجمع الغفير من الأدباء تحت اسم أدب أميركا اللاتينية؟ إذا مااعتبرنا أن الأغلبية تعتبر الإسبانية لغتها الرسمية ماعدا بعض الاستثناءات، ورغم أن الكثير يرى فيه عاملاً فعالاً، إلا أن الآخرين ينظرون إلى الملامح المُشتركة التي تربط أدب القارة بوصفها الموحّد الأول لها. فهذا الخليط الطبقي والعرقي للقارة يكاد يكون مشتركاً بين دُولِه، وإشكاليات الانتماء والتحرر والبحث عن الجذور والعودة إلى

اكتشاف عمق الحضارة المبهرة للقارة ككل، ثم إن مجمل الحركات الإنسانية والأدبية كانت وماتزال في الثقافة الأميركو ـ لاتينية، هي من الخصال المحددة لوحدته واندماجه.

ومهما كان من خلاف حول هذه المسألة، فإن مُعظم الحركات الأدبية التي أبرزتها القارة، لم تكن «قطرية» وإنما خلقتها مجاميع أدباء ينتمون لدول متفرقة في هذه القارة الغنية بمواردها وإنسانها. حركات مثل الحداثة modrinismo، القصة الاقليمية، أدب الـ Boom الواقعية الجديدة، الواقعية السحرية... الخ، إنما نشأت في دواخل أدباء القارة ووصلوا بها إلى مستواها المرموق التي هي عليه اليوم.

الشق الثاني، هو إلى أي مدى تعرّف فيه القارئ العربي على أدب أميركا اللاتينية بشكله القريب للتمام؟ على حد علمي لم تصدر حتى اليوم مجموعة مختارات شاملة عن قصة أميركا اللاتينية، رغم المحاولات الفردية التي بدرت منذ بداية الثمانينات (أو قبلها بعدة سنوات) بانتقاء بعض القصص وإصدارها في كتاب واحد. إلا أن البحث عن هذا الثراء القصصي في القارة ككل وترجمته إلى العربية يبدو من المهمات الشاقة، لاسيما أن كل دولة لها من الأسماء الكبيرة مايفوق حجم كتاب كامل، وإذا شئنا الدقة فإن تخصيص كتاب كامل بأدب دولة واحدة قد يفي بالغرض حتى لو لم يأت شاملاً.

المختارات القصصية التي يضمها هذا الكتاب لأدباء من 17 دولة في قارة أميركا اللاتينية، وقد وجدتُ في استخدام صيغة الدول واختيار ممثل واحد عنها (أو اثنين على أبعد احتمال)، واحدة من الوسائل المتبعة على نطاق واسع في «الأنطولوجيات» داخل القارة وخارجها، مما اطلعت عليها واستفدت منها في ترجمة هذه المجموعة من القصص. كما أن الدول ذات الأسماء الكبيرة المميزة، كان لابد من اختيار أكثر من ممثل واحد عنها، مع الاعتراف مقدماً

بالتقصير في عدم إدراج أسماء معروفة للقارئ العربي، ذلك أنه تم التعريف بهم سابقاً عبر الترجمات المختلفة في الصحف والدوريات الأدبية، مع رغبتنا للتعريف بأدباء آخرين مهمين في بلدانهم لم تسنح الفرصة لترجمة أعمالهم إلى العربية.

ومن المفيد التذكير أن القارئ عبر هذه المنتخبات القصصية، سيتعرف (ربما للمرة الأولى) على أدباء من طراز رفيع ولهم المكانة المميزة كأدباء طليعيين في أدب القارة مثل: كيروغا، سالاروي، خوان بوش، جيماريش روسا، بييتري، ريبيرو، وأسماء أخرى. وهي فرصة كذلك لقراءة نماذج من أدب دول لم تحظ بالاهتمام من قبل المترجم العربي مثل: سلفادور، بنما، هندوراس، بويرتوريكو، نيكاراغوا. كما أننا لم نشأ التقيد بنمط قصصي واحد أو فترة زمنية معينة محصورة، وذلك لرغبتنا في التعريف بأغلب النماذج والحركات الأدبية منذ مطلع القرن الحالي، بل بأنماط قصصية مثل: القصة الإقليمية، الواقعية، الأسطورية، الساحرة، الحكائية، الفلسفية، ابتداءً من أدباء يُعتبرون رواداً في أدب القارة حتى أدباء ظهروا في السبعينات أو الثمانينات. وأدرجنا حسب ماجرت العادة، قصة البرازيل، في المنتخبات رغم أنها تتكلم البرتغالية وليس الإسبانية كمعظم دول القارة، لأهميتها داخل الحركة الثقافية اللاتينية.

هذه القصص المختارة من أدب أميركا اللاتينية، الغنية بثقافتها وتراثها وتكوينها العرقي الهجين على مَر العصور، لاندّعي أنها متكاملة أو احتوت على أفضل القصاصين والنماذج القصصية، وإنما رغبة منا في تأكيد أهمية وفاعلية القصة في أميركا اللاتينية، وهي خطوة مُكملة لما قدمه الآخرون، نرجو أن نكون قد وُفقنا في انتقائها وترجمتها.

خورخي لويس بورخيس

«الأرجنتين»

بورخيس (1899 ـ 1986)، الشاعر والقاص والمفكر الأرجنتيني الكبير، صاحب الخط الفكري داخل نمط القصة الغرائبية المدهشة. أعلى قمة في أدب أميركا اللاتينية قاطبة. والذي شغل موقعاً هاماً طوال حياته في أدب قارته وآداب العالم، الأكثر فهماً لإشكاليات قارته وأحد أكثرهم انتشاراً في ترجمات آداب أميركا اللاتينية إلى العالم. عاش مُعظم حياته ضريراً وفي الوقت نفسه مديراً لمكتبة بوينس آيرس الوطنية. أكثر من نادى بوحدة الفكر والأدب العالمي عَبر تناوله لمزيج من نتاج الذهن العالمي وعَبر أشعاره وقصصه وكتبه النقدية.

له أكثر من 40 نتاجاً إبداعياً في كل حقول الأدب.

في الشعر: «قمر في المواجهة» 1926 ، «دفتر القديس مارتين» 1929 أما في القصة (حقله الأساس) فله: «الألف» 1949 ، «الصانع» 1960 ، «تقرير برودوي» 1975 ، «كتاب الرمل» 1975 .

أما في المقالة فله: «محاكم تفتيش أخرى» 1960 ، «بورخيس الشفهي» 1980 «تاريخ الخلود» 1953 ومؤلفات أخرى.

بيت آستريون

«منحتِ الملكة للنور، ابناً سمي آستريون»

آبولو دورو

المكتبة، 3 ، الأول

ينعتونني بالفوقية، ربما بالتوحش، وقد يصفونني بالجنون. كل هذه الاتهامات المذكورة (سأعاقب مَنْ اتهمني بها في حينه) تبدو لي مضحكة. حقيقة أنني لاأغادر بيتي، لكن أبوابه (عددها لانهائي)(*) مشرعة ليل نهار، للرجال وكذلك للدواب. كي يدخل من يشاء. لاتهليل كالنساء هاهُنا، ولاصرخات هستيرية كالتي تنطلق في القصور. إنما هناك صمتٌ وعزلة. لذلك قررت أن أشيّد بيتاً لامثيل له على وجه الأرض (يكذب من يقول بأن في مصر بيتاً شبيهاً به). هناك من يفتري ويقول إنه لاتوجد ولاقطعة أثاث واحدة في البيت. شيء مثير للسخرية، ذلك أنه أنا نفسي آستريون، سجين فيه. أكرر أنه لاوجود لباب مغلق، وأضيف كما لاتوجد أقفال، ذلك أنني ذات مساء نزلتُ حتى الشارع وعدت قبل حلول المساء. فعلت ذلك بدافع خوفي من وجوه العوام. وجوه خامدة، شاحبة كأيدٍ منبسطة.

(*) في الواقع ان عددها 4 ، ولكن رقماً كهذا له صفة لانهائية على لسان آستريون.

كانت الشمس قد غربت لكن بكاء طفل بائس والابتهالات الخشنة للرعية قالت بأنهم قد تعرفوا على شخصي. صلّتْ الناس، هربت، ركعت، وتسلق بعضهم معبد لاس آجاس، بينما التقط آخرون الحجارة. أحدهم فيما أعتقد اختبأ تحت البحر. ليس عبثاً أن أمي كانت ملكة. لذا لاأستطيع مخالطة العوام، رغم أنني أبغي ذلك بتواضع.

الحال أنني وحيد. ولايهمني ماينقله أحدهم عني إلى الآخرين. وكفيلسوف أفكر أنه لاوجود لطريقة أفضل لفن الكتابة. الملل، والأشياء المبتذلة ليس لها حيز في روحي، لأنني مهيأ لما هو أسمى. أبداً لم أفرّق بين حرف وآخر. نفاد صبري السري لم يجعلني قادراً على تعلم القراءة. أحياناً أحزنُ لذلك، لأن الليالي والصباحات طويلة. لم ينقصني بالطبع أدوات تسلية. شبيه بكبشٍ يسعى للتناطح، أجري في مَمر حجري حتى أتدحرج على الأرض مترنحاً. أقبعُ في ظل الجب أو في انعطافة الممر، وألعبُ حتى يكتشفوا مكاني. هناك ضربات سوط منذ أن تركوني صريع الإغماء وجسدي مدمى. أتظاهر بالنوم في أي وقت، بعينين مغمضتين وشهيق عميق (مرات أنامُ حقيقة، وأحياناً يتغير لون النهار حين أفتح عيني). ولكن بين ألعاب عديدة كنت أفضل لعبة آستريون الآخر. أتظاهر بأنه يأتي لزيارتي وأنا أريه البيت. وباحترام عظيم أقول له: الآن نعود إلى الممرات الداخلية التي تُفضي إلى ممر آخر، أو ماأقوله بوضوح بأنه ستعجبك المزاريب أو سترى الحوض مغطى بالرمل، وسترى كيف يتشعب السرداب. أحياناً أخطئ ويضحك كلانا بطيبة.

لم أتخيل هذه الألعاب وحسب بل تأملت البيت. كل أقسامه مكررة لمرات عدة. كل مكان هو مكان آخر. لايوجد جبٌّ واحد، فناء، مشرب، أو مذود واحد. كانت أربعة عشر (عدد لايُحصى) من المذاود، مشارب، أفنية، آبار. البيت بحجم العالم، الأحسن أن أقول، هو العالم بعينه. إذ دون شك، وبقوة فانية، أبتني أفنية بأحواض، وممرات مغبرة من الحجر الرمادي. وصلتُ حتى الشارع وتأملت

معابد «لاس آجاس»، والبحر. لم أفهم كل هذا، إلى أو وضحت لي رؤى ليلية بأنه كذلك. كانت أربعة عشر (عدد لايُحصى) من البحار والمعابد، لكن شيئين في هذا الكون يظهران مرة واحدة: في الأعلى، الشمس المُعلقة، وفي الأسفل، أنا آستريون. ربما كنت أنا مَنْ خلق النجوم والشمس وهذا البيت العظيم. ولكني إلى الآن لاأتذكر.

كل تسعة أعوام يدخل البيت تسعة رجال كي أُخلصهم من سيئاتهم. أستمع لخطوهم أو لأصواتهم في عمق الممر الحجري وأهرع سعيداً لملاقاتهم. تستغرقنا الطقوس دقائق قليلة. يسقطون واحداً يتبع الآخر دون أن ألطخ يدي بدمائهم. يبقون حيث يسقطون، والجثث تساعدني في تمييز ممر عن آخر. أجهل مَن يكونون، ولكني أعلم أن أحدهم قد تنبأ بوصول مُخَلصِه ساعة موته. منذ ذلك الحين لم تَعد تؤلمني العزلة، لأنني أعلم أن مُخلِّصي مازال حياً، وفي النهاية سينهض فوق هذه الأرض. لو كان لسمعي القدرة على التقاط شائعات العالم لشعرت بخطواته. آنذاك سيحملني معه إلى مكان ضيق بممرات وأبواب قليلة. تُرى كيف سيكون مخلصي؟ أتساءل. هل هو ثور أم إنسان؟ ربما سيكون ثوراً بوجه إنسان؟ أم سيكون مثلي؟

انعكس ضوء الشمس على السيف البرونزي، ولم يبق أثر للدماء.

- هل تصدقين ذلك آريادنا؟ قال تسيو - أوَ يستطيع الميناتاورو(*) حماية نفسه.

(*) الميناتاورو: ثور بوجه إنسان في الميثولوجيا اليونانية.

خوليو كورتاثار

«الأرجنتين»

كورتاثار (1914 - 1984) الأديب المرموق والأكثر شهرة في القارة بعد جيل أبناء بلده مثل بورخيس، كاساريس، بويج وآخرين. نشر مجموعتين قصصيتين في بداية حياته الأدبية هما:

«نهاية اللعبة» 1956 ، «الأسلحة السرية» 1959 . ومع ذلك استمر بكتابة القصة القصيرة حتى رحيله، بالرغم من الشهرة التي حققها كروائي عبر أعماله الذائعة الصيت: «الجوائز» 1960 ، «الحجلة» 1963 ، «العودة حول اليوم في ثمانين عالماً» 1967 .

ترك بلده وعاش في باريس، مترجماً وناقداً، يعتبر أحد المجددين في حقل الرواية الذهنية في أدب القارة وبالأخص روايته «الحجلة».

متابعة الحدائق

كان قد بدأ قراءة الرواية قبل ذلك بأيام. وتركها بسبب أعمال مستعجلة، ثم عاد لفتحها عندما رجع إلى المزرعة في القطار، متمعناً أهمية الحبكة من خلال وصف الشخصيات. هذا المساء، وبعد أن كتب رسالة إلى وكيله وناقش مع مدير أعماله في شؤون المزرعة، عاد إلى الكتاب في هدوء الغرفة حيث كان ينظر باتجاه حديقة أشجار البلوط. غطس في كرسيه المفضل، مديراً ظهره إلى الباب الذي كان يزعجه مثل احتمال مثير للتطفل. ترك ليده اليسرى أن تمسد بين حين وآخر القطيفة الخضراء، ومضى هو في قراءة فصول الرواية الثلاثة.

استرجعت ذاكرته دون جهد، الأسماء ومشاهدة الأبطال، واستغرقته في الحال. استمتع بلذة مضللة في أن يمضي منتزعاً سطراً سطراً مايحيط به، وشاعراً في الحال برأسه المتعب يستريح برقةٍ فوق قطيفة ظهر الكرسي، حيث تكون السجائر في متناول يده. وبعيداً عن فتحات النوافذ كانت ريح المساء ترقص تحت أشجار البلوط. كلمة إثر أخرى، ممتصاً النغمة البذيئة للأبطال، تاركاً لنفسه المضي حتى المَشاهد التي تتكثف وتكتسب لوناً وحركة. كان شاهداً على اللقاء الأخير في الكوخ الجبلي.

أولاً، دخلت المرأة مُرتابة، ويصل الآن العشيق، متوجعاً من ضَربة غصن. بمتعة أوقفت سيل الدماء بقبلاتها، لكنه رفض

المداعبة، لم يأت لإعادة احتفال العشق السري، المحمي بعالم من الأوراق الجافة والطرق الخفية. أمسك الخنجر بهدوء عكس اتجاه صدره، وترك للحرية الملثمة أن تنبض. جرى الحوار المشوق بين الصفحات مثل تموج أفعى، وشعر أن كل ذلك قد تقرر منذ ذلك الحين. حتى هذه المداعبات التي أوقعت جسد الحبيب في شباكها كما لو أنها تُريد الحَجْرَ عليه وطيّه. كانا قد رسما بكُرهٍ هيئة جسد آخر من الضروري الانقضاض عليه.

لم يُنس شيء. المصادفات، الأخطاء المحتملة. ابتداءً من الآن كل لحظة لها عملها الدقيق الخاص. مضى الاثنان في الأمر بقسوة، دون أن تقاطعهما اليد التي داعبت الخد. ثم خيم الليل.

ودون أن ينظرا إلى بعضهما، مرتبطين بصرامة بالمهمة التي تنتظرهما، افترقا أمام بوابة الكوخ. كان عليها أن تستمر في الطريق المؤدي إلى الشمال. انعطف هو قليلاً كي يراقبها تَمضي بشعرٍ منثور. ركض بانطلاقة واحدة، محاطاً بالأشجار والأسيجة، حتى ميز في ضباب الغسق الخبازي اللون، الطريقَ المحفوف بأشجار الحور الذي يقوده إلى البيت. لم يكن على الكلاب أن تنبح، ولم تنبح. لن يكون رئيس الخَدم في البيت آنذاك، ولم يكن. صَعدَ ثلاث درجات من السلّم الأمامي ودخل. عبْر الدماء التي تخض في أذنيه، تناهت إليه كلمات المرأة. في المقدمة، صالة دُهنت بالأزرق، بعد ذلك الممر، درج مغطى بالسجاد. ثم هناك في الأعلى بابان. لم يكن ثمة أحد في الغرفة الأولى ولافي الثانية. باب الصالون، وحينذاك كان الخنجر في يده، ضوء النافذة الكبيرة، الظهر العالي لكرسي مغطى بالقطيفة الخضراء، رأس رجل على كرسيه يقرأ رواية.

فَيدريكو بلتزر

«الأرجنتين»

ولد في بوينس آيرس 1928 . قاص، شاعر وناقد. عمل أستاذاً في جامعة سانتا ماريا 1958 ـ 1963 درس الحقوق وعمل قاضياً لفترة طويلة.

روايته الأولى «أرض لاأحد» 1955 حازت على جائزة «Emece» للنشر.

«مشتركة» 1959 روايته الثانية حازت على جائزة جييرموكرافت. 1966 ظهرت روايته «الليل».

من مجموعته القصصية «مع الموت أو مع الأطفال» 1961 نختار هذه القصة المعبرة، والتي وصفها بورخيس بأنها لاتمثل جيلاً واحداً وإنما تعني الآخرين جميعاً.

معلم الشطرنج

عندما قدّموه إلى الرجل، في النادي الاجتماعي للقرية، لم يفهم لقبه جيداً. علماً أن الآخر لم يكن من هناك بصورة مؤكدة. كان الرجل طويلاً، أشيب وبلحية مشذبة بعناية، شبيه بإقطاعيي القرون الوسطى الوقورين. في الحال عَرَضَ عليه أن يلعبا الشطرنج. لم يكن الرجل يعرف حقيقةً كيف يُحرك الأحجار ولكنه قَبِلَ العرض.

كل الأماسي، وبصبر، كان الغريب يلقنه دروساً. لم يلعبا وإنما كانا يدرسان طُرقاً وخططاً للتوصل إلى مواضع أفضل بعد حركة البدء. متوافقان بالحركات في منتصف اللعبة، متوصلان إلى نهايات جيدة. ذات يوم قال له المعلم:

ـ هل تعلم أنك تلعب جيداً؟ لقد أصبحت تعرف الشطرنج مثلي تقريباً.

شَعَر الرجل بالزهو، ولكنه لم يشأ التباهي.

ـ في الـ «تقريباً» يكمن الفرق ـ قال.

ـ أجل من المحتمل ـ أجاب الآخر كما لو كان قد فكر أن الوقت حان للرحيل إلى قرية أخرى أقل سأماً.

لكن تعليم الشطرنج استمر حتى الآن أسبوعاً. عندما جاء يوم الأحد، قال المعلم:

ـ غداً سأرحل عن القرية. سيكون الاثنين، لكن قبل ذلك، سأمنحك درساً أخيراً.

ابتدأ، كان اللعب سجالاً ولم تُتح فرصة لأي منهما. كانا في منتصف اللعبة، والمعلم بدا عليه القلق، إذ لم يمتلك فرصة الإشارة إلى أي خطأ، كما كان يفعل بالعادة أمام لعبة ضعيفة أو غير صحيحة للرجل. فجأة نظر إليه وقال:

ـ هل تريد أن نلعب بجدية؟

بدا التلميذ كأنه لم يفهم، لأنه كان يلعب بجدية طوال الوقت.

وَضّحَ المعلم:

ـ أريد أن أقول إننا سنتابع اللعب حتى النهاية. أتفهم؟ دون أن أشير عليك بشيء. إنها طريقة لمعرفة مهارتك.

نظرَ الرجل إلى رقعة الشطرنج، صحَّح وضعه، مُظهراً كل معرفته. كانت اللعبة متكافئة، بحيث أنهما يمتلكان الحجارة نفسها. شيء ما أعجبه. كان الحدس بأنه سيربح، مثل رغبة للمنافسة والمخاطرة. نظر لوجه المعلم اللامبالي.

ـ حسناً ـ قال.

حينذاك حرك الآخر حجراً (إذ كان دوره في اللعب) وهمس:

ـ مات! ـ كان ذلك حقيقة.

ـ رائع ـ قال التلميذ. في الظاهر لم يكن هناك خطر، لقد كنا متعادلين.

ـ هذا مايبدو في الظاهر ـ أشار المعلم.

استسلم الرجل، ثم علّق وهما ينهضان:

ـ كم هو سيء أن تثق كثيراً، أليس كذلك؟ المفروض أنه آخر درس تمنحه لي؟ قلت لي ماهو اسمك؟

أجاب المعلم:

ـ اللّه.

ميغيل آنخل آستورياس

«غواتيمالا»

«آستورياس» (1899 - 1974) الروائي الشهير وأول من حاز على جائزة نوبل للآداب (1967) من قصاصي القارة. معروف بوجه خاص من خلال روايته «السيد الرئيس» (1946) والتي تبعها برواية ثانية هي «رجال الذرة» (1949)، الأكثر أصالة وفناً من مُجمل أعماله الأدبية الأخرى. درس في فرنسا وعاش منفياً في بوينس آيرس لمدة 11 سنة كتب فيها معظم أعماله الإبداعية. في هذه الفترة ظهرت مقارناته السياسية عبر ثلاثيته الروائية «حقول الموز» وهي «ريح صاعقة» 1950 ، «البابا الأخضر» 1954 ، «عيون المدفونين» 1960 . إلى هذا فإن أستورياس قاص متميز وله كتب عديدة أهمها: «أساطير كاريبية» التي نلتقط منها قصتنا المختارة. يضاف إلى ذلك أن القاص شاعر أولاً وكاتب مسرحي وناقد.

أسطورة كنز الأرض المزدهرة

«البركان المستيقظ هو الحرب»

برشفات متتالية انتهى النهار عند حجارة المدينة الرطبة مثلما تُستهلك النار في الرماد. كانت السماء مغطاة بقشرة برتقالية ودم صبّار البيتاياس(*) يتقطر بين الغيوم، أحياناً تتلون بالأحمر، وأحياناً أخرى شقراء كخيوط الذرة أو جلد البوما(**).

في أعلى البرج، شاهد أحد المراقبين أن الغيوم تمر فوق البحيرة، تقبّلُ الماء تقريباً، وتجثم عند قدمي البركان. توقف الغيم، وسرعان مارأى الأب مغمض العينين. ودون أن يتدثر بردائه الذي يسحل على طول درجات السلم هبط من البرج صارخاً بأن الحرب قد انتهت. ترك لذراعيه أن تسقطا مثل عصفور عندما يهرب الصراخ من بين شفتيه، ويرتفع جناحاه من جديد مع كل صباح. في الساحة، باتجاه الغروب، رقدت الشمس في لحيته، كما في حجارة المدينة، وشيءٌ ماكان يُحتضر.

وفي الدور انتشر المنادون معلنينِ في وجهات الريح الأربع عن انتهاء الحرب على امتداد أراضي مالكي الـ آتيان(***).

(*) صبّار البيتاياس: نوع من الصبار بأزهار حُمر وبيض.
(**) البوما: الفهد الأميركي
(***) آتيان: كانت عاصمة لمملكة ثوتوهيليس، المسيطرة على الإقليم عند مجيء الإسبان.

وكانت ليلة السوق. أضيئت البحيرة بالأنوار، تمضي وتعود بواخر التجار، مضاءة مثل النجوم. بواخر باعة الفواكه. بواخر بائعي الملابس والسراويل القديمة. بواخر بائعي الحجارة الثمينة، الجواهر، اللآلئ، وتراب الذهب، يراعات ممتلئة بمياه معطرة، أساور من خيوط القنب البيضاء. بواخر بائعي العسل، الفلفل الأخضر- البودرة، الملح، والراتنج الثمين. بواخر بائعي المحابر وريش الكتابة. بواخر بائعي التربنتين، أوراق وجذور طيبة. بواخر بائعي الدواجن. بواخر بائعي حبال الماغوي والثيباكي لصنع الحُصُر، ونوع من الصبّار لصنع المقاليع وخشب الصنوبر المغلق، أطباق مائدة صغيرة وكبيرة من الصلصال، جلود مدبوغة ودون دبغ، يقطين، أقنعة من القرع. بواخر بائعي الغواكامايو(*)، ببغاوات، ثم جوز الهند، الراتنج الطري وثمار آجوتي(**) ببذورها العملاقة.

بنات السادة تجولن بحماية الرهبان في زوارق مضاءة مثل عرانيس ذرة بيضاء، وعوائل النخبة بصحبة زمرة من الموسيقيين والمغنين المتناوبين مع صراخ التجار، الماهرين والحذرين في المساومة. كل ذلك الضجيج لم يُزعج الليل بشيء!

كان سوقاً غاصاً بأناس نيام، وكأنهم يشترون ويبيعون وهم غافون. الكاكاو، المقايضة بالخضروات، تمضي من يد إلى أخرى دون ضجة، بين عقد من البواخر والرجال. مع بواخر صيد الطيور، وصل تغريد طيور الـ ثنثوتيللي(***) والإعجاب الشديد بطيور الخضيري، وثرثرات الأسعار. الطيور يدفع ثمنها المشتري، ليس أقل من عشرين حبة، لأنها تُشترى كهدايا حُب.

فوق أمواج البحيرة تضيع، متمايلة بين أشجار الغابة، همسات وأضواء العشاق وبائعو الطيور. بكى الرهبان وهم يراقبون البركان

(*) الغواكامايو: ببغاء متعدد الألوان وبحجم دجاجة.
(**) آجوتي: نوع من ثمار أميركا الجنوبية.
(***) الثنثوتيللي: طيور ذات أصوات رخيمة.

من فوق أشجار الصنوبر العالية. هتافات آلهة السلام والحرب، مغطّاة بطبقة غيوم ستكون إعلاناً عن السلم، عن الأمن في الأرض المزدهرة، وانقشاعها إعلان عن الحرب، اجتياح عدو. منذ البارحة حتى اليوم كانت مغطاة تماماً بجلود مسلوخة، دون أن تبلغها أزهار عباد الشمس ولا الطيور الطنانة.

كان السلام. لذلك احتفلوا. مضى الرهبان من جانب إلى آخر داخل الكنيسة، يصنعون البدلات، المحاريث وسكاكين من السبخ(*). ضُربت الطبول، المزامير، الآلات الحلزونية، الآلات الإيقاعية، وطبول الخشب، وزينوا ظهور الكراسي. كانت هناك زهور، فواكه، عصافير، خلايا نحل، ريش، ذهب وحجارة ثمينة لاستقبال المحاربين. من شواطئ البحيرة انطلقت بواخر تحمل على متنها أناساً يرتدون ملابس متعددة الألوان، أناس لايُعرف جنسهم. والوقفات كثفت من أصوات الرهبان المتوّجين ببراطيل صفراء، والمصطفّين على جانبي السلّم، مثل ضفائر ذهبية في كنيسة راعي المياه(**).

ـ قلوبنا استراحت في ظلال رماحنا! ـ استغاث الرهبان.

ـ وابيضّت أجواف الشجر وبيوتنا بروث الحيوانات، والنسر والنمر!

ـ هنا يمضي الحاكم! هذا هو. هذا الذي يمضي هنا.

قال الأمناء، الملتحون مثل آلهة قديمة، وحذت حذوهم القبائل المتناثرة بين البحيرة وأطرافها.

ـ من هنا يمضي الحاكم المستبد، هذا هو. هذا الذي يمضي من هنا!

ـ هناك ألمح ولدي، هناك، هناك، في ذلك الطرف ـ صرخت النسوة، بعيون باكية، ودموعهن رقيقة كالماء.

(*) السبخ: حجر بركاني أسود اللون.
(**) راعي المياه: أو (آتيت) وهو حامي البركان.

ـ ذلك ـ قاطعتهن الفتيات ـ هو سيد عطرنا! قناعه قناع البوما، وريشه الأحمر من قلبه.

وبإثرهن من مجموعة أخرى:

ـ ذلك هو سيد أيامنا! قناعهُ مِن ذهب وريشه من الشمس!

وجدت الأمهات أبناءهن المحاربين، بعد أن تعرفن على أقنعتهم، وكذلك الفتيات، لأن المحاربين أظهروا لهن ثيابهم.

وبإشارات إلى الحاكم المستبد:

ـ إنه هو. ألا ترون صدره أحمر مثل الدّم وذراعيه خضراوين كنبتة؟ هو دم الأشجار ودم الحيوان. إنه طير وشجرة! ألا ترون الضوء في كل أصباغه حول جسد الحمامة؟ ألا ترون ريش ذيله الطويل؟ طير بدم أخضر! شجرة بدم أحمر. إنه هو، كوكوكول(*)، إنه هو.

تظاهر المحاربون، حسب ألوان ريشهم، في فصيل من عشرين، من خمسين ومن مئة. فصيل العشرين بملابس وأغطية حمراء، وفصيلِ الأربعين بأغطية وملابس خضراء، والمئة محارب بريش أصفر. فيما بعد، محاربو الريش متعدد الألوان، يشبهون ببغاوات الغواكامايو، وهم المخادعون. قوس قزح من مئة قدم.

ـ أربع نساء مزينات بقبعات من القطن والسهام! هُنَّ المقاتلات الشبيهات بأربع فتيات.

تُسمع أصوات الرهبان رغم الجموع. ودون أن تختلقَ الحمق، صرخت إحداهن بجنون أمام كنيسة راعي المياه المطوق بالأزهار وأقراط الفاكهة ونساء منحن لأثدائهن لون وشكل نبالة الرمح.

استقبل الحاكم في قدحه المحاط بحمامات مياه رسلاً من كاسيكلان، بعث بهم بيدرو القارادو(**)، محمَّلين بكلماته المتفائلة،

(*) كوكوكول: الطير الرمز لأميركا اللاتينية، يمثل روح الزعامة لدى الهنود الحمر.
(**) القارادو: رسول كورتيس قائد الغزاة الإسبان لأراضي أميركا اللاتينية.

لكنه أعدمهم في الحال. بعد ذلك بدا بثوب من الريش الأحمر على الصدر، والأخضر على الذراعين، وهو رداء بتطريزات دقيقة فوق الرأس كجناح بُراق. الوجه مغطى، والأقدام الحافية في صنادل ذهبية، هكذا خرج إلى الاحتفال محاطاً بالنبلاء والمستشارين والرهبان. يُرى في ذراعه جرح صُنع من التراب الأحمر ومضاء بخواتم عديدة في أصابع يديه الاثنتين، شبيه بزهرة عباد الشمس. رقص المحاربون في الساحة راشقين بالسهام أسرى الحرب المشوهين والمقيدين إلى جذوع الأشجار.

عندما مَرَّ الحاكم، وضع أحد المضحين الذي يرتدي السواد، سهماً أزرق بين يديه. أحاطت الشمس المدينة، رامية بسهامها من قوس البحيرة.

انتشرت الطيور حول البحيرة، ترمي سهامها من قوس الغابة.

أغار المحاربون على ضحاياهم، منتبهين ألّا يجرحونهم حتى الموت، كي يطول زمن الاحتفال واحتضارهم.

رمى الحاكم سهماً بقوسه على أكثر الأسرى شباباً، مُستهزءاً ومتلاعباً به. في الحال، قاطعه المحاربون بسهامهم، من بعيد، عن قرب، راقصين على دقات الطبول. فجأة، قطع عليهم أحد المراقبين احتفالهم مُعلناً الانذار! اندفاع وقوة البركان تزيح الغيوم، معلنة نزوح جيش جبار باتجاه المدينة. بدت فوَّهة البركان أكثر نقاءً، تاركةً الغسق عند صخور الساحل البعيد كأنه شيء ضئيل سرعان مايموت دون جلبة، مثل حشود بيضاء منذ برهة كانت ساكنة، هي ذي تتحول الآن إلى هيجان يُنذر بالانهيار. كواكب مطفأة في الشوارع... هدير الحمام تحت أشجار صنوبر عملاقة... البركان المستيقظ هو الحرب!

ـ سأغذيك من بيتي المتواضع، ومن صِحاف عسلي: لقد شئت أن أغزو المدينة، وعندها سنصبح أثرياء! أنشد الرهبان المراقبون من القلعة، بأيد صقيلة وممتدة باتجاه البركان المتعاظم حول

الضباب السِحري للبحيرة. وفي الحال تزين المحاربون وأنشدوا:

- أن يُخطئ الرجال البيض برؤية أسلحتنا! ألّا نفتقد بين أيدينا الريشة اللامعة، والتي هي السهم، زهرة وعاصفة ربيعية! أن تَجرحَ رماحنا دون أن تُجرَح!

زحف الرجال البيض. لكنهم بالكاد يُرون وسط الضباب. هل كانوا أشباحاً أم كائنات حية؟ لاتُسمع لهم طبول ولا أبواق، وتنتزع خطواتهم صمت الأرض. تقدموا دون أبواق، دون خطوات، دون طبول. لاتُرى سيوفهم وسط الضباب، ولاقلوبهم أو رماحهم أو خيولهم. زحفوا نحو المدينة مثل عاصفة، مختلطين مع الضباب، دون أن يثيروا خطراً، مسيطرين، صارمين، محصنين، ومن الشرارة التي اندلعت بين أيديهم، انطلقت نيران زائلة لصواعق زائلة. وبينما بقي جزء من القبيلة مدافعاً، فقد هرب الباقي في طريق البحيرة مع كنوز الأرض المزدهرة حتى حافة البركان، متلاشين في السواحل القصية، متنقلين في بواخر الغزاة، ضائعين في غيوم البحر الماسية، وبرزوا من بعيد كانفجار حجارة كريمة.

لم يعد هناك وقت لإضرام النار في الطريق. نُفخت الأبواق! وقُرعت الطبول! ومثل خاتم ضبابي، تحطم جدار المدينة بضربات رماح الرجال البيض، ممتطين حصوناً من جذوع الشجر، مُجهزين على السكان المهجورين حيث دفنت القبائل كنوزها. نُفخت الأبواق! قُرعت الطبول!

أحرقت الشمس الحقول المزروعة. وسخت الجزر بمياه متحركة، مثل أيدي سحرة ممتدة باتجاه البركان.

نُفخت الأبواق! قُرعت الطبول!

مع الإطلاقات الأولى للبنادق القديمة في البواخر، تفرق الناس على الجانبين. تركوا اللآلئ، المجوهرات، الزمرد، حجارة الأوبال، العقيق، الخيتا المرة، القطع الذهبية، تراب الذهب، الذهب المُصاغ، التماثيل، الجواهر، سلاسل العنق، الأيقونات ومظلات الفضة، الأقداح

وأواني الطعام الذهبية، العلب المرصعة بلآلئ صغيرة متناثرة، الحجارة الثمينة، أباريق الكريستال، الأثواب، الآلات، وثلاث مئة، وثلاثة آلاف من الأقمشة المطرزة بنقوش ريش ثمين. جبال من الكنوز تأملها الغزاة من سفنهم الراسية، متنافسين فيما بينهم حول أفضل جزء من الغنيمة.

عندما قفزوا إلى اليابسة نفخت الأبواق! وقُرعت الطبول!

شعروا فجأة بلهاث البركان. لقد أوقفهم اللهاث البطيء لراعي المياه. لكنهم عزموا على ذلك، ففي المرة الثانية حاولوا أن ينزلوا من السفينة تحت رحمة ريح هادئة كي يستولوا على الكنز.

دفقة نيران كنست بهم الطريق. بصقات ضفدع عملاق.

صمتت الأبواق! صمتت الطبول!

طفت الجمرات فوق سطح الماء مثل العقيق، وأشعة الشمس مثل مجوهرات. شُهب دخانية داخل دروعهم. طافت أساطيل بيدرو القارادو دون قيادة. تُرى وهي تغوص، كحجر من زَبد، رمادية أمام ماتقذفه الأشياء الأخرى، جبال فوق جبال، غابات فوق غابات، أنهار وأنهار كشلالات. قبضات صخرية، لهب، رماد، حمم بركانية، رمال، سيول، كل ماتقيأه البركان ليُشكل بركاناً آخر فوق كنز الأرض المزدهرة، والتي هجرتها القبائل عند قدميه، مثل الغسق.

خوان رولفو

«المكسيك»

إنّ خوان رولفو (1918 - 1968) يُعد واحداً من أفضل قصاصي أميركا اللاتينية المعاصرين بالرغم من نتاجه الأدبي القليل. عَبر كتابين وحيدين هما:

«السهل الملتهب» 1953 ، ورواية «بيدرو بارامو» 1955 والتي تناول فيها البيئة المكسيكية الواقعية وأظهر تناقضات الشرائح الاجتماعية المكسيكية، وقد اهتم بتناول حياة الفلاحين والبيئة الصحراوية، مركزاً على السلوك الإنساني والقدرية التي يرزحون تحتها.

بهذه القصص القصيرة والرواية الوحيدة استطاع أن يكون واحداً من أشهر المجددين في القصة المكسيكية. يُضاف إلى ذلك ولعه الذي أخذ منه الوقت الكثير في مجال التصوير الفوتوغرافي للبيئة المكسيكية، وكذلك اهتمامه بالسينما عَبر السيناريو المكتوب لها مباشرة. استطاع رولفو من خلال «واقعيته المحلية» هذه الحصول على أعلى الجوائز الأدبية منها: الجائزة الوطنية للآداب، وجائزة أمير أستورياس للثقافة الناطقة باللغة الإسبانية.

ماكاريو

أنا جالس بجانب الساقية، أنتظر خروج الضفادع. في الليل عندما كُنا نتعشى بدأت تُثير الضجيج، ولم تكف عن النقيق حتى طلوع الفجر. كذلك تقول عرابتي: إن نقيق الضفادع حرمها النوم، وهي الآن تتمنى أن تنام. لهذا بعثتني للجلوس هنا قرب الساقية. أُمسك بيدي لوحاً لأضرب به كل ضفدع يحاول القفز إلى الخارج، ضربة لوح كحركة ملعقة. كل الضفادع لونها أخضر عدا بطنها. الضفادع البرية سوداء، كذلك عينا عرابتي سوداوان. الضفادع لذيذة لصنع الحساء. الضفادع البرية لاتؤكل، ولكنني أكلتها أيضاً على الرغم من أنها لاتؤكل، إذ لها طعم مشابه للضفادع الأخرى. فيليبا هي التي تقول إن أكل الضفادع البرية شيء سيئ. فيليبا لها عينان خضراوان مثل عيون القطط. هي التي تُقدم لي الطعام في المطبخ كلما جاء دوري للأكل. هي لاتريد مني أن أؤذي الضفادع ومع ذلك فعرابتي هي التي تأمرني بعمل هذه الأشياء. أنا أحب فيليبا أكثر من عرابتي، ولكن عرابتي هي التي تُخرج النقود من محفظتها كي تشتري فيليبا مانحتاجه من أطعمة، دائماً تكون فيليبا لوحدها في المطبخ، تُحضّر طعامنا نحن الثلاثة. لاتعمل شيئاً آخر منذ عرفتها. بينما غسيل الأطباق يكون من نصيبي، كما أنني أُحضر الحطب للموقد. ثم إن عرابتي هي التي تُقسّمُ الطعام بيننا. بعد أن تنتهي العرابة من تناول الطعام، تُهيئ بنفسها حصتين، واحدة لفيليبا

وأخرى لي. أحياناً لاتشعر فيليبا بالرغبة في الأكل، حينذاك تكون الوجبتان من نصيبي. لهذا أحبُ فيليبا. لأنني جائع باستمرار، ولا أشبعُ أبداً مهما قدموا لي من أطعمة. فيليبا تعرفُ ذلك... يقولون في الشارع إنني أحمق لأن جوعي لاينتهي قط. عرابتي سمَعتْ مايقولون وأنا لم أسمعه. لاتدعني عرابتي أخرج وحدي إلى الشارع. عندما تسمحُ بخروجي فذلك كي أرافقها لسماع القداس في الكنيسة. هناك تجلسني بقربها، وتربط يدي بأطراف شالها. أنا لاأعلم لماذا تربط يدي. ولكنها تقول حتى لاأرتكب أية حماقة. ذات يوم اخترعوا أنني كنت أنوي خنق أحدهم. وأنني ضغطت على عنق سيدة لا لشيء ما. أنا لا أتذكر. ولكن عرابتي تقول لي ما أفعله، وهي لم تتعود الكذب. عندما تدعوني إلى الأكل، فلكي تمنحني حصتي. وليس كبقية الناس الذين يدعونني للأكل معهم، وفيما أنا أقترب يرمونني بالحجارة حتى أهرب منهم دون أكل شيء. عرابتي تعاملني جيداً، ولهذا أنا مسرور بوجودي في بيتها. إضافة إلى أن فيليبا تعيش هنا معنا، وهي طيبة معي لذلك أحبها. إن حليب فيليبا حلو كأزهار المسلة. لقد شربت حليب الماعز، وكذلك حليب خنزيرة حديثة الولادة، ولم يكونا أحسن من حليب فيليبا. لقد مر زمنٌ طويل لم أمصّ ثديها، ذلك الثدي الذي لدينا في مكانه أضلاع وحسب، ومنه يخرجُ الحليب، لاأعرفُ كيف تستخرجه، حليبٌ أفضل مِنَ الذي تعطيني إياه العرابة في غداء كل أحد.

كانت فيليبا تذهبُ كل ليلة كي تنام حيث أنام. تقترب مني وتضطجع فوقي أو تتمدد إلى جانبي. ومن ثَمّ تتهيأ لأمتص حليبها الحلو والساخن الذي تتركه يمضي بدفقات إلى البحيرة! مرات عديدة أكلت أزهار المسلة لأوقف جوعي وحليب فيليبا له ذلك الطعم، ليس فقط لأنه كان يعجبني أكثر، وإنما لأنني كنت أبتلعه بجرعات في الوقت ذاته. كانت فيليبا تدغدغني في أنحاء جسدي كله. فيما بَعد يحدث أن تضطجع معي حتى الفجر. وكان ذلك يخدمني كثيراً، ليس لأنني أتضايق من البرد وإنما خوفاً من الجحيم إذا مامتُ وحيداً هنا

ذات ليلة. أحياناً لاأشعرُ بالخوف من الجحيم. وأحياناً أخرى أجل. فيما بعد يروقني. وأحياناً عديدة أحبُ أن أخوّف نفسي بأنني سوف أمضي يوماً ما إلى الجحيم، بسبب حملي رأساً قاسية، وأحب أن أضربها بأول شيء أصادفه. لكن فيليبيا تأتي وتُزيل مخاوفي. تدغدغني بيديها مثلما تعرف هي، وتطرد خوفي من الموت، حتى وقت قصير وأنسى. تقول فيليبيا، عندما ترغب أن تكون معي، بأنها ستحكي للرب عن معصياتي. إذ ستمضي قريباً إلى السماء وستحدثه طالبة أن يغفر لي ذنوبي التي تملأ جسدي من الأعلى حتى الأسفل.

هي ستطلب منه أن يغفر لي حتى لاأظل مهموماً. لهذا تمضي للاعتراف كل يوم. ليس لأنها شريرة وإنما لأن الشياطين تحكمني من الداخل، ولكي تُخرج الأشباح من جسدي، فهي تعترف صباح مساء. تقول فيليبيا ستفعل هذا الإحسان مدى حياتها، لهذا أحبها كثيراً. دون شك، مَنْ لديه رأس قاسية مثلي، إنما هو شيء كثير. فالمرء عندما ينطح برأسه أعمدة الممر ساعات بأكملها ولايُصاب بشيء، يتحمل دون أن تتحطم. يضربها بالأرض، ببطء أول الأول، ثم بقوة أكبر، وترنُّ كطبل شبيه بالطبل الذي يرافق المزمار في احتفالات السنيور. آنذاك أكون مُقيَّداً بخيوط شال عرابتي، أستمع إلى الـ تُوم تُوم دقات الطبل في الخارج. وعرابتي تقول إذا كان في غرفتي بعوض وصراصير وعقارب وإذا بقيتُ مستمراً في نطح الأرض برأسي فسوف أحرق في جهنم. ولكن ماأحبه هو سماع دقات الطبل. هذا مايجب أن تعرفه. أسمعه كما لو كان ذلك داخل الكنيسة، منتظراً الخروج سريعاً إلى الشارع لأرى كيف يصل الصوت بعيداً حتى عمق الكنيسة، ويعلو فوق وعود السيد القس: «صراط الأعمال الحسنة مُضاء بالقبس. وصراط السيئة مُظلم» يقول ذلك السيد القس. استيقظت وخرجت من غرفتي عندما كانت ماتزال مُعتمة. أكنس الشارع وأدخل غرفتي مرة أخرى قبل أن يمسك بي ضوء النهار. في الشارع تحدث أشياء. يضربونني بالحجارة على رأسي إذا ماشاهدوني. يمطرونني بالحجارة الكبيرة والحادة من

جميع الجهات. وفيما بعد يجب ترقيع قميصي، منتظراً أياماً عديدة حتى تلتئم جروح وجهي أو ركبتي. أتحمّلُ مرة أخرى ربط اليدين لأن النسوة إذا لم يُسرعن ويوقفنني عن قشط القشرة اليابسة، فسوف تسيل دفقات دم. للدم طعم لذيذ، ولكنه ليس له بالطبع طعم حليب فيليبا. لهذا ولكي لايرجمونني أعيش دائماً في البيت. بمجرد أن يعطوني حصة طعامي، ألتجئ إلى غرفتي وأُحكم مزلاجها جيداً، معتكفاً حتى لاتتلقاني المعاصي التي يحتويها ظلام الغرفة. لاأستطيع تحريك العصا لأرى من أين كانت تأتي تلك الصراصير. أجلسُ هادئاً، متكئاً على جنبي، وما أن أحس بصرصور يدب بقوائمه المفصلية على عُنقي حتى أضربه بيدي وأسحقه. لكن دون أن أحرك العصا. لم يحدث أن وجدوني غافلاً عن المعاصي لأسير وبيدي العصا باحثاً عن الصراصير التي تدخلُ تحت لحافي. الصراصير ترعدُ مثل سالتابيريكوس عندما تنتزع أحشائها. لاأعلم إن كانت الزيزان ترعدُ هي الأخرى: أنا لاأقتلها أبداً. تقول فيليبا بأن الزيزان تُحدث ضجيجاً مستمراً دون أن تتوقف للتنفس، حتى لاتسمع نداء الأرواح التي تُكفّر عن ذنوبها. في اليوم الذي تتوقف فيها الزيزان سيمتلئ العالم بنداءات الأرواح المقدسة، وكلنا سنهرع فزعين من الخوف. إضافة لذلك، يعجبني كثيراً أن أُنصت إلى أصوات الزيزان. في غرفتي يُوجد منها الكثير. أكثر من الصراصير حتماً والتي تعششُ في ثنايا كيس النوم. كذلك توجد عقارب. كل لحظة تسقط إحداها من السقف، وتُرغمك على أن تبقى هادئاً دون تنفس حتى تمر فوقك وتصل الأرض. إذا ماتحرك ذراع أو سَخِنَ أحد العظام، ستحس حينذاك بحدة اللدغة. كم يؤُلم. لقد لُدغت فيليبا يوماً في ردفها. بللته لها بلعابي. كل الليل أمضيته بتبليلها باللعاب وأنا أصلي معها. ووصلت اللحظة التي وجدت فيها أن علاجي لم ينفع، ساعدتها في البكاء بعيني قدر مااستطعت. في كل الأحوال أُفضّل وجودي في الغرفة على أن أكون في الشارع، ذلك أنني أثير أولئك الذين يضربون الناس. هنا لاأحد يؤذيني. عرابتي لاتقسو

عليّ لأنها تراني ألتهمُ أزهار المسلة أو رياحينها أو رماناتها. هي تعلم مدى جوعي، وتعلم أن أي طعام لايملأ بطني، لذا أجوبُ اليوم كله بحثاً عن طعام هُنا أو هناك. هي تعلم أنني ألتهم الحمص المنقوع بدل أن أقدمه للخنازير السمان، والذرة الجافة بدل أن أقدمها للخنازير العجاف. هي تعلم أي جوع ينتابني منذ الصباح حتى مجيء الليل. وطالما وجدتُ طعاماً في هذا البيت، فسوف أبقى فيه. لأنني أعتقد أن اليوم الذي أفقد فيه الطعام، هو يوم موتي، وعندئذ سأمضي إلى الجحيم مباشرة. هناك لن يخرجني منه أحد، ولافيليبا، وإن كانت طيبة معي. ولا التعويذة التي أهدتها لي عرابتي مُطوقة بها عنقي. الآن أنا قرب الساقية منتظراً خروج الضفادع. لم يخرج ضفدع واحد طوال حديثي. إذا تأخرتْ في الخروج ربما نمتُ، وهنا لن أجد طريقة لقتلها، وعرابتي لن تستطيع النوم إذا ماسمعت نقيقها، حينذاك ستثور وتطلب من قديسيّ غرفتها الواحد تلو الآخر أن يرسلوا الشياطين إليّ كي يحملونني مسحولاً إلى حُكمي الأبدي، مباشرة، دون أن أمر حتى بالمطهر، ولن أرى حينذاك أبي وأمي اللذين يوجدان هناك. الأفضل أن أستمر بالحديث. إن ماأتمناه حقاً هو أن أعود لتذوق دفقات من حليب فيليبا. ذلك الحليب الطيب والحُلو كعسل يسيل من تحت أزهار المِسلة.

خوسيه آريولا

«المكسيك»

ولد في مدينة ثابوتلان (مدينة غوثمان اليوم) عام 1918 . ينتمي إلى جيل خوان رولفو وواحد من أولئك الذين أضافوا لأدب المكسيك الكثير. ابتدأ حياته الأدبية بإصدار كتاب «ابتكار آخر» 1949. بعد ذلك نشر مجموعتين قصصيتين أخريين:

«مسامرات» 1952 ، «المعَرِض» 1963 والذي يتضح فيهما نضجه الذي لايرقى إليه شك. كتابه «مسامرات» يتضمّن مقطوعات ونصوصاً مُجتزأة، حيث يُحضر البناء الجديد الذي سيمنح القص المعاصر فيما بعد شكلاً مميزاً، وقد عُرفت قصصه باهتمامها بالواقع التهكمي اللاذع للمجتمع ومنها هذه القصة المنتخبة.

الفنار

إن مايفعله خينارو مروع. يُديم من أسلحته الطارئة. بينما أصبح موقفنا قذراً. مساء البارحة ونحن جلوس حول المائدة، حكى لنا قصة عن الخيانة. كانت في الواقع ظريفة، ولكن لم نكن أميليا وأنا قادرين على الضحك، حتى قطعها علينا خينارو بقهقهاته الزائفة. قال «أهناك ماهو أكثر إضحاكاً؟» ثم وضع يده على جبهته، بأصابع منتصبة كما لو تبحث عن شيء. وعاود الضحك «كيف تشعر بحملك قرنين؟»، ولم يُدرك تماماً مدى ارتباكنا.

كانت أميليا يائسة. وكان لي رغبة في شتم خينارو، أن أقول له الحقيقة كلها، صارخاً فيه، ثم أخرج راكضاً ولا أعود مطلقاً. لكن كالمعتاد، شيء ما أوقفني. ربما كان أميليا التي تنهار أمام وضع لايطاق.

كان ذلك منذ زمن عندما فاجأنا تصرف خينارو. كان يعود كل يوم أكثر حمقاً. تقبّلَ شروحات لاتصدق، ومنحنا مكاناً ووقتاً لخلواتنا الأكثر جنوناً. تصنّعَ عشرات المرات كوميديا رحلاته، لكنه دائماً كان يعود في اليوم المحدد. كنا نكف بلا فائدة أثناء غيابه. حين يعود محملاً بهدايا صغيرة، يضيّق بها علينا بأسلوب فاجر. يقبّلنا تقريباً من رقابنا. يشدّنا بإفراط إلى صدره. تصل أميليا إلى حد الإغماء عليها من الاشمئزاز بين الذراعين ذاتهما.

في البدء مارسنا الأشياء برعب، معتقدين أن خطراً عظيماً

يحدق بنا. الانفعال من أن خينارو سيكتشفنا في أية لحظة، مغلِفاً عشقنا بالخوف والعار.

لقد كان الوضع واضحاً ونظيفاً في موقفٍ كهذا. كانت الكآبة تطفو فوق رؤوسنا كما لو أنها قد منحت خطيئتنا وقاراً. الآن غُدنا إلى القليل من الرتابة الغليظة والمحزنة. نحب بعضنا بعدم رغبة، ضجرين مثل أي زوجين. اكتسبنا شيئاً فشيئاً طبيعة خينارو التافهة بالتسامح. كان حضوره بيننا غير محتمل لأنه لم يكن يُعيقنا. إذ يُسهّل علينا الروتين اليومي، مسبباً الملل.

ذات مرة أخبرنا ساعي البريد الذي يجلب لنا التعليمات بأن العمل جارٍ بقرار إلغاء الفنار. فرِحنا أنا وأميليا سراً، بينما تضايق خينارو بوضوح، «إلى أين نذهب؟» يقول لنا.

«نحن سعداء هنا!» يتنهد. بعد حين يبحث عن عيني: «أنت ستأتي معنا، أينما نذهب ستكون معنا!». وظل ينظر إلى البحر بشوق.

غابرييل غارثيا ماركيز

«كولومبيا»

غابرييل غارثيا ماركيز (1928) الكاتب الكولومبي الشهير الحائز على جائزة نوبل للآداب 1982 ، والذي يُعد الأهم في جيل الواقعية السحرية عبر أعماله المتعددة: «ليس لدى الكولونيل من يكاتبه»، «خريف البطريرك»، «مئة عام من العزلة»، «قصة موت معلن» حتى أواخر أعماله «خبر اختطاف» 1996 .

المعروف أن أعمال ماركيز تُرجم معظمها إلى العربية. ومع هذا يُعتبر ماركيز قاصاً متميزاً عبر أكثر من أربع مجموعات قصصية نشرها حتى اليوم، والتي نختار منها هنا هذه القصة التي كتبها عام 1962 ، حيث ستكون فيما بعد أساساً لروايته «ساعة نحس» مع شخصيتي الطبيب والعمدة.

يوم من هذه الأيام

ابتدأ صباح الاثنين فاتراً وبلا مطر. طبيب الأسنان الذي لايحمل شهادة، دون آوريليو أسكوبار، كان أولهم في النهوض. فتح عيادته في الساعة السادسة. أخرج من الخزانة الزجاجية طقم أسنان اصطناعياً مازال مركباً في قالبه الجصي، ووضعه فوق الطاولة. نظم قبضةً من الأدوات، من الكبيرة حتى الصغيرة كما لو أنها في معرض. بدا يرتدي قميصاً مخططاً، دون ياقة، مغلقاً من الأعلى بزر ذهبي، وبنطالاً بحمالات بلاستيكية. كان صارماً، جافاً، بنظرة كأكثر المرات غرابة، تتقاطع مع وضعه كنظرة الطرشان.

عندما كانت أدواته جاهزة فوق الطاولة، أدار قبضة المخرطة باتجاه الكرسي ذي النوابض وجلس يصقل طقم الأسنان الاصطناعي. بدا كأنه لايفكر بالذي يعمله، لكنه كان يعمل بإصرار، محركاً القبضة حتى عندما لايستخدمها.

بعد الساعة الثامنة توقف لينظر إلى السماء من النافذة، شاهدَ دجاجتين ساهمتين تجففان ريشهما تحت الشمس، فوق سطح البيت المجاور. استمر يعمل، تدور في رأسه فكرة أن السماء ستُمطر من جديد قبل طعام الغداء.

أخرجه الصوت المشوش لابنه ذي الأحد عشر عاماً من انشغاله.

ـ بابا.

ـ ماذا.

ـ يقول العمدة ما إذا كنت ستقلع له ضرسه.

ـ أخبره أنني لست هنا.

كان يصقل سناً ذهبية. سحبه على امتداد الذراع وفحصه بعينين نصف مغمضتين. من صالة الانتظار، عاود ابنه الصراخ.

ـ يقول بأنك هنا لأنه يستطيع سماعك.

استمر طبيب الأسنان متفحصاً السن. فقط عندما وضعه على الطاولة مع الأعمال المنتهية، قال: أفضل.

عاد لتحريك القبضة. من أحد الأدراج الكرتونية حيث يحفظ الأشياء الجاهزة للعمل استخرج جسراً من قطع متعددة، وابتدأ بتلميع الذهب.

ـ بابا.

ـ ماذا.

حتى اللحظة لم يكن قد غيّر تعبيره.

ـ يقول إذا لم تقلع له ضرسه فسيرميك بطلقة.

دون أن يسرع، وبحركة شديدة الهدوء، توقف عن تحريك القبضة، انسحب عن المقعد وفتح بصورة تامة الدرج السفلي للطاولة. هناك كان مسدسه.

ـ حسناً ـ قال ـ أخبره أن يأتي ليقتلني.

استدار بكرسيه حتى أصبح في مواجهة الباب، ويده مستندة على حافة الدرج. ظهر العمدة عند عتبة الباب. كان قد حلق خده الأيسر، ولكن على الخد الآخر، المتورم والمؤلم، كانت له لحية عمرها خمسة أيام. رأى الطبيب في عينيه الذاويتين ليالي يأس عديدة. أغلق الدرج براحة أصابعه وقال بلطفٍ:

ـ اجلس.

ـ صباح الخير ـ قال العمدة.

ـ صباح الخير ـ قال الطبيب.

بينما ابتدأ غلي الأدوات، أسند العمدة رأسه على مسند الكرسي وشعر أنه أفضل. تنفس رائحة جليدية. كان مختبره فقيراً. كرسي قديم من الخشب، دوّاسة القبضة، خزانة زجاجية مليئة بالكرات الخزفية. مقابل الكرسي كانت نافذة يغطيها ستار من القماش بارتفاع رجل. عندما شعر باقتراب الطبيب ثبت كعبيه وفتح فمه. أدار آوريليو أسكوبار الوجه باتجاه الضوء. بعد ذلك لاحظ الضرس التالف، أمسك الفك بضغطٍ حَذِر من أصابعه.

ـ ستكون دون مخدر.

ـ لماذا؟

ـ لأن فيه خرّاجاً.

نظر العمدة في عينيه.

ـ حسناً ـ قال وحاول أن يبتسم.

لم يُجبه الطبيب. حمل إلى طاولة العمل، قِدر الأدوات المعقمة، واستخرجها من الماء بملاقط باردة، لم يكن عجولاً حينها. بعد ذلك أدار المبصقة بطرف حذائه ومضى لغسل يديه بالمياه المعقمة. عَمِل ذلك دون أن ينظر إلى العمدة. لكن العمدة لم يفقد رؤيته.

كان هناك ضرس العقل السفلي. فتح الطبيب ساقيه وشد الضرس بكلّابة ساخنة. تشبث العمدة بمسندي الكرسي، ووضع ثقله في القدمين فشعر بفراغ جليدي في الرئتين، لكنه لم يطلق أية تنهيدة. حرك الطبيب إبهامه وحسب. دون ضغينة، وإنما بحنان مرير، قال:

ـ هنا تدفع لنا عشرين مِيتاً، أيها الملازم.

شعر العمدة بطقطقة عظام فكه وامتلأت عيناه بالدموع. لكنه لم يتنهد حتى أنه لم يشعر باقتلاع الضرس. حينذاك رآه عبر دموعه.

بدا له غريباً عن آلامه، ولم يشأ فهم عذاب لياليه الخمسة الماضية. مُنحنياً فوق المبصقة، متعرقاً، لاهثاً، فك أزرار سترته وبحث دون انتباه عن المنديل في جيب بنطاله. أعطاه الطبيب قطعة قماش نظيفة.

ـ جفف دموعك ـ قال له.

فعل العمدة ذلك. كان دافئاً. بينما مضى الطبيب لغسل يديه، رأى السقف المثقوب ونسيج مغبر من بيوض العناكب والحشرات الميتة.

عاودَ الطبيب تجفيف يديه «اضطجعْ ـ قال ـ واستخدمْ جرعات من الماء المملح».

وقف العمدة على قدميه، ودعه بتحية عسكرية فاترة، واتجه حتى البوابة باسطاً ساقيه، دون أن يغلق أزرار سترته.

ـ أرسل لي قائمة الحساب ـ قال.

ـ لكَ أمْ إلى البلدية؟

لم ينظر العمدة إليه. أغلقَ الباب وقال عَبرَ شبكة الباب المعدنية:

ـ الجُراب نفسه.

أوراثيو كيروغا

«الأورغواي»

أوراثيو كيروغا (1878 - 1937) رائد القصة اللاتينية المعاصرة، بُحكم معظم النقاد والأدباء اللاحقين. عاش حياته متنقلاً في بلدان أميركا اللاتينية بين تشيلي، الأرجنتين، حتى وصل إلى عمق غابات القارة البدائية مرافقاً الرحلات التبشيرية. عاش حياة قاسية ومفجعة بسبب موت أغلب أصدقائه وأفراد عائلته بحوادث مختلفة آخرهم زوجته، مما ترك أثراً واضحاً في إبداعه بأجمله، ومنها هذه القصة المختارة، حيث تتحكم الظروف القدرية بحياة شخصياته القصصية.

نشر أكثر من 8 مجموعات قصصية منها:

«جريمة الآخر» 1904 ، «الملاحقون» 1905 ، «قصص حب، جنون وموت» 1917 ، «قصص الغابة للأطفال» 1918 ، «المتوحش» 1920 ، «الصحراء» 1924 ، «الأبعد هناك» 1935 .

على غير هدى

سحق الرجل شيئاً يميل إلى البياض، وفي الحال شعر وخزاً في قدمه. قفز إلى الأمام، وحال عودته شاهد بإمعان أفعى كوبرا ملتفة حول نفسها، منتظرة هجوماً آخر. نظر الرجل إلى قدمه حيث تجمدت بصعوبة قطرتان من الدم، انتزع السكين من حزامه. أحست الأفعى بالتهديد وخبأت رأسها أكثر وسط تحلزنها، لكن السكين سقط منتصف الظهر قاطعة لها فقراتها.

انحنى الرجل إلى مكان الوخز، ومسح قطرتي الدم، وظل يشعر بالألم للحظات. ألم مرهف نشأ في الغرزتين البنفسجيتين ابتدأ يغزو قدمه. بسرعة ربط رسغه بمنديله، واستمر بوخزته حتى الحقل. ازداد الألم في القدم مع إحساس بأن الرباط ينتفخ، وسرعان ماشعر الرجل باثنتين أو ثلاث غرزات لامعة مثل البرق تشعُ من الجرح حتى منتصف ربلة الساق. حرك الساق بصعوبة، وجفاف كالمعدِن يلف بلعومه، يتبعه عطش حارق، حركها من جديد بخفة. وصل حقله أخيراً، طوح بذراعيه حول مقود معصرة قصب السكر. الوخزتان البنفسجيتان اختفتا الآن في الانتفاخ المخيف للقدم بأكملها. بدا الجلد متجعداً وعلى وشك الانسحاب والانشداد. أراد أن ينادي امرأته لكن صوته تحطم في بحة متثاقلة لبلعوم جاف. لقد افترسه العطش.

ـ دوروتيا ـ بدأ يُصوّت بحشرجة ـ أعطني بيرة.

ركضت المرأة بقدحٍ ممتلئ، شَربَها الرجل بثلاث رشفات. لكنه لم يشعر بطعمها.

ـ لقد طلبتُ بيرة وليس ماء ـ زمجر من جديد ـ أعطني بيرة.

ـ لكنها بيرة، باولينو ـ احتجت المرأة مذعورة.

ـ كلا، لقد أعطيتني ماء. أريد بيرة، أقول لك!

ركضت المرأة مرة أخرى، وعادت تحمل قدحاً كبيراً من البيرة. رشَفَ الرجل قدحاً آخر بعد القدحين، لكنه لم يشعر بشيء في بلعومه.

ـ حسناً، هذا يعني السوء ـ دمدم حينها ناظراً إلى قدمه المزرقّة بلمعان مَنْ أصيب بالغنغرينا. حول آصرة رباط المنديل طفح اللحم مثل مورثيا(*) ضخمة.

الألم اللامع يُحدثُ بريقاً مستمراً ويجتاح الفخذ كله. وجفاف البلعوم الخانق يبدو أن النسيم يضاعفه. عندما أراد أن يقف على قدميه باغته قيء شلَّ حركته نصف دقيقة، بينما جبهته مستندة على حافة العمود.

لكن الرجل لم يكن يريد الموت. انحدر حتى الساحل وصعدَ قاربه. جلس في مؤخرته وابتدأ التجديف حتى منتصف البارانا(**) كان مجرى النهر على مقربة من الغواثو يسيرُ بسرعة ستة أميال، وبأقل من خمس ساعات سيكون في تاكوروبوكو.

استطاع الرجل، ببصيص الطاقة المتبقية، الوصول إلى منتصف النهر. لكن ذراعيه الخامدتين تركتا المجداف يسقُط في القارب، وبعد قيء متجدد ـ هذه المرة كان دماً ـ توجه ببصره إلى الشمس التي اجتازت الجبل.

كانت الساق بأكملها، حتى منتصف الفخذ، كحجارة مفلطحة

(*) مورثيا: نوع من السجق يُحشى بلحم الخنزير ودمه.
(**) البارانا: مدينة وسط نهرين.

وقاسية قد مزقت له ثوبه. قص الرجل الكم وفتح البنطلون بسكينه. طفح الورم تحت الريح، بلطخات كبيرة مزرقّة، ومؤلمة بشكل طاغ. فكر الرجل أنه لن يستطيع الوصول لوحده ابداً حتى تاكوروبوكو، وقرر أن يطلب المساعدة من عرابه آلفيس، رغم أن زمناً طويلاً مضى كانا فيه متخاصمين. تسارع مجرى النهر حتى الساحل البرازيلي، واستطاع الرجل أن يرسو بسهولة. زحف بألم حتى الساحل العلوي. ولكن بعد عشرين متراً، استنفد قواه، وبقي متمدداً على صدره.

- آلفيس - صرخ بما لديه من قوة، وأنصت سدى - عرابي آلفيس! لاترفض لي هذا المعروف.

صرخ من جديد رافعاً رأسه عن الأرض. في صمت الغابة لايُسمع أي ضجيج. الآن كان للرجل رغبة في الوصول إلى قاربه، لكن المجرى سحبه من جديد وحمله بسرعة على غير هدى.

يُحيط البارانا حوضٌ شاسع، جدرانه العالية حتى مئة متر تُعلب النهر بشكل مأتمي. سطح الأمواج المحمل بحجارة البازلت السوداء ارتقى حتى أطراف الغابة، السوداء هي الأخرى. في الأمام، عند الساحل، وفي الخلف منها، ذلك السور الأزلي الحزين، يتسارع عمق النهر بشكل دوامة في فورانات متوالية لمياهه الطينية. كان المنظر عدائياً، يُسيطر عليه سكون الموت، لكن جماله في العشية يبدو مُعتماً وساكناً وقد نال عظمة فريدة.

غربت الشمس الآن، عندما كان الرجل نصف المنطرح في قاربه يعاني برودة شديدة. وبُسرعة مفاجئة، عَدَل رأسه يائساً، فشعر أنه أفضل. على الرغم من ألم قدمه، إلا أنه لم يعُد يشعر بالعطش، فقد تحرر صدره، وانفتح ببطء للتنفس.

لقد غادره السم حتماً، وجد نفسه أفضل رغم أنه لم يجد قوة كي يُحرك يده. وحَسَبَ أنه مع وقت سقوط الندى سيكون أفضل. ثم إنه ليس قبل ثلاث ساعات سيكون في تاكوروبوكو. لقد قدِمتْ

الراحة، وسيكون معها نوم مليء بالذكريات. لم يَعد يشعر بشيء سواء في قدمه أو بطنه. هل يعيش حتى الآن عرّابه غاونا في تاكوروبوكو؟ ربما سيرى كذلك رئيسه السابق المستر دوغلاس ومُنظم العمل. «سأصل سريعاً؟».

السماء، الغروب، تنفتح الآن شاشة ذهبية، لقد تلون النهر هو الآخر، وأظلم ساحل الباراغواي تواً، وترك الجبل لبرودته الشفقية أن تسقط فوق النهر في تضوع حاد من أزهار البرتقال وعسل الغابة. قطع النهر زوج من الببغاوات، يطير عالياً وبصمت باتجاه الباراغواي. هناك من تحت وفوق النهر الذهبي، يمخر القارب مُسرعاً على غير هدى. دائراً حول نفسه للحظات قبل فوران دوارة المساء.

شعر الرجل بتحسن وهو يمضي فيه، وفكر بين حين وآخر في الزمن الذي مَرّ عليه دون أن يرى رئيسه السابق المستر دوغلاس. هل هي ثلاثة أعوام؟ ربما لا، ليس كثيراً هكذا. سنتان وتسعة أشهر؟ ربما ثمانية أشهر ونصف؟ بالتأكيد هو هذا. شعر فجأة ببرودة تجتاحه حتى الصدر. تُرى ماسيكون عليه ذلك، والنفس... مُستورد الأخشاب من المستر دوغلاس، كان اسمه لورينزو كوبيو، وقد تعرف عليه في ميناء اسبرانثا في يوم الجمعة المقدس... هل كان الجمعة؟ أجل، أم كان الخميس.

بسط الرجل أصابع يديه برفق.

ـ كان يوم خميس... وتوقف عن التنفس.

جيليرمو كابريرا إنفانتي

«كوبا»

كابريرا إنفانتي (كوبا 1929) واحد من أهم الكتّاب المعاصرين في أميركا اللاتينية. قام بتأليف رواية واحدة عام 1967 وهي «ثلاثة نمور حزينة» التي يمكن القول عنها إنها من أبرز القصص أصالة في أدب القارة، ومن أبدعها.

وكان قبلها قد نشر مجموعته القصصية الأولى والوحيدة، المعنونة «في السلم كما في الحرب» 1961 التي ضمت خمسة عشر قصة قصيرة، اخترنا منها هذه القصة المترجمة، حيث كتبها في العام 1958 . معظم قصص هذه المجموعة موجهة لنقد الوضع في ظل الدكتاتور باتيستا آنذاك.

عمل خلال الثورة الكوبية رئيس تحرير صحيفة «اثنين الثورة»، ثم ملحقاً ثقافياً لبلده في بلجيكا عام 1965 ، بعدها عاد إلى كوبا، ليقدم طلباً بمغادرة البلد، فتوافق عليه السلطة ولم يعد إلى بلاده حتى اليوم.

حسب المقدمة التي كتبها المؤلف ذاته عام 1994 ، اعتبَر هذه القصة «أبريل، أشد الشهور قسوة» من المفضلات لديه إضافة إلى قصتين أُخريين.

أبريل، أشد الشهور قسوة

لم يفهم هل كان الضوء الذي دخل من النافذة أم الحر، أم كلاهما، هو ماأيقظه. أو حتماً الضجيج الذي تُحدثه في المطبخ وهي تُحضّر الفطور. سمعها تقلي البيض أولاً وبعدها وصلته رائحة زيت القلي. تمدَد في سريره وشعر ببرودة الشراشف تحت جَسده مع ألم لطيف يحيطه من الظهر حتى الرقبة. في تلك اللحظة دخلت هي إلى الغرفة وصدمه أن يراها ترتدي صدرية الطبخ فوق بنطالها القصير. المصباح الذي كان فوق المنضدة الليلية لم يكن هناك الآن، وإنما وُضعت فوقها الأطباق والفناجين. حينذاك انتبهت إلى أنه قد استيقظ.

ـ ماذا يقول النوّام؟ ـ سألت مازحة.

بينما كان يتثاءب، قال: صباح الخير.

ـ كيف تشعر؟

أراد أن يقول ممتاز، فيما بعد فكر أنه ليس ممتازاً تماماً، حَسَبها وقال:

ـ مُدهش.

لم يكذب. لم يشعر بتحسن مثل الآن. لكنه انتبه إلى أن الكلمات غالباً ماتخون.

ـ ياه! ـ قالت هي.

أفطرا. عندما انتهت من جلي الأواني، عادت إلى الغرفة، وطلبت منه أن يمضيا للاستحمام.

ـ يوم رائع ـ قالت هي.

ـ رأيت ذلك من النافذة ـ قال هو.

ـ رأيت؟

ـ حسناً. شعرت. سمعت.

نهض، اغتسل وارتدى سرواله. حينذاك حمل روبه المخملي وخرجا حتى الشاطئ.

ـ انتظري ـ قال هو في منتصف الطريق ـ لقد نسيت المفتاح.

أخرجت هي المفتاح من حقيبتها وأبرزته له. ابتسم.

ـ ألا تنسين شيئاً أبداً؟

ـ أجل ـ قالت هي وقبّلته على فمه ـ نسيتُ أن أقبّلكَ اليوم، أعني عندما استيقظت.

شعر بهواء البحر يمر بين فخذيه وعلى وجهه واستنشق بعمق.

ـ هذه هي الحياة ـ قال.

خلعتْ الصندلين، وأدخلت أصابعها في رمل الطريق. نظرت إليه وابتسمت.

ـ هل تعتقد ذلك؟ ـ قالت.

ـ ألا تعتقدين أنت ذلك؟ ـ قال هو بدوره.

ـ آه، أجل. دون شك. لم أشعر بتحسن مثل الآن أبداً.

ـ ولا أنا. طوال حياتي. ـ قال هو.

استحما. كانت تسبح بصورة جيدة، بتطويحات طويلة من ذراعيها الخبيرتين. بعد برهة عاد إلى الشاطئ ودفن جسده في الرمل. شعر بالشمس وهي تجفف الماء وحبيبات الملح التي علقت

في مسامات جلده، واستطاع أن يخمن أي المناطق تحرقه أكثر، حيث تتكون فقاعات زيتية. شعر بلذة حرق الشمس. بقي هادئاً، يضرب رأسه على الرمل، ويحس بالهواء مُشكلاً ومحطماً كثيبات رمل طفيفة، ومدخلاً الذرات الدقيقة منه في الأنف، والعينين، في الفم والأذنين. بدا له كصحراء نائية، شاسعة، غامضة وعدائية. طاب له النوم.

عندما استيقظ، كانت هي تتمشط إلى جواره.

ـ هل نعود؟ ـ سأل.

ـ عندما تشاء.

حضّرت الغداء وأكلا دون كلام. لقد احترق جلد ذراعه بشكل طفيف. مضى حتى الصيدلية التي تبعد مسافة ثلاثة صفوف من المنازل عن داره واشترى مرهماً. الآن كانا في المدخل، يصلهم الهواء المنعش، وأحياناً هواء البحر العنيف الذي تُحدثه أماسي أبريل.

راقبها. رأى رسغيها الدقيقين، المرسومتين بدقة. ركبتان لامعتان وفخذان مستديران برقة. كانت متمددة فوق الكرسي العريض، مسترخية، وعلى شفتيها الممتلئتين طيف ابتسامة.

ـ كيف تشعرين؟ ـ سألها.

فتحت عينيها ثم أغلقتهما أمام فيض الضوء. لها أهداب طويلة مقوسة.

ـ جيدة. وأنت؟

ـ جيد أيضاً. لكن، أخبريني... هل مضى كل ذلك؟

ـ أجل. ـ قالت هي.

ـ و... لايزعجك شيء؟

ـ إطلاقاً. أُقسم لك إنني لم أشعر بتحسن قبل الآن مثل اليوم.

ـ يسعدني ذلك.

ـ لماذا؟

- لأنني لاأشعر براحة وأنت لست بخير.

- ولكن أشعر أنني بخير.

- سعيد من أجلك.

- حقاً، أرجو أن تصدقني، رجاء.

- أُصدقك.

ظلا صامتين. ثم تحدثت هي.

- هل نقوم بجولة عند طرف الشاطئ؟

- ترغبين بذلك؟

- كيف لا. متى؟

- عندما تشائين.

- حسناً. بعد ساعة من الآن.

خلال ساعة واحدة وصلا الجرف، عندها سألته وهي تنظر إلى الشاطئ، مراقبة رسوم زبد الأمواج وكذلك العوامات.

- كم تعتقد الارتفاع من هُنا حتى الهاوية؟

- خمسون متراً. ربما خمسة وسبعون.

- أليست مئة.

- لاأعتقد.

جلست فوق صخرة، بوضع جانبي عن البحر، وساقاها متقاطعتان بين زرقة البحر والسماء.

- هل تصورني هنا؟ - سألت هي.

- بالطبع.

- عدني ألّا تُصور امرأة أخرى هنا.

انزعج هو.

ـ ماهذه الأشياء التي تحصل لكِ. نحن في شهر عسل. أليس كذلك؟ كيف أفكر بامرأة أخرى الآن.

ـ لاأقول الآن. إنما في وقت آخر. عندما ستتعب مني، عندما سنفترق. رفعها وقبّل شفتيها بقوة.

ـ أنتِ مغفّلة.

احتضنته هي من صدره.

ـ لن نفترق أبداً؟

ـ أبداً.

ـ ستحبني إلى الأبد؟

ـ إلى الأبد.

قبّلا بعضهما. وفي الحال سمعا أحداً ينادي.

ـ يُناديك.

ـ لاأعلم مَنْ يكون.

شاهدا عجوزاً يخرج من خلف العوامات المبنية بالحلْفاء.

ـ آه، إنه المتعهد.

حياهما.

ـ هل ترحلان يوم غد؟

ـ أجل، غداً.

ـ أجل، غداً. في وقت مبكر.

ـ حسناً، إذاً أريد أن تُحاسبني الآن. هل ذلك ممكن.

نظر هو نحوها.

ـ امضِ أنت معه. أريد أن أبقى هنا لفترة.

ـ لم لاتأتين أنت أيضاً؟

ـ لا ـ قالت هي ـ أرغب برؤية الشمس وهي تَغرُب.

ـ لم أرد المقاطعة. ولكنني سأمضي إلى بيت ابنتي لرؤية

برنامج الملاكمة في التلفزيون. أنت تعلم، ابنتي، تعيش قرب الطريق العام.

ـ اذهبْ معه ـ قالت هي.

ـ حسناً ـ قال هو ومشى خلف العجوز؟

ـ تعرف أين توجد النقود؟

ـ أجل ـ أجابها وهو يعود إليها.

ـ ارجع لتبحث عني فيما بعد. أتريد ذلك؟

ـ حسناً. ولكن عندما تظلم سنعود. تذكري ذلك.

ـ أجل ـ قالت هي ـ قبّلني قبل أن تذهب.

اقترب منها، وقبّلته هي بقوة وألم.

شعر بها متوترة، وهناك ما يَخِزُها من الداخل. وقبل أن يفقد هيئتها خلف أمواج الحلْفاء، حيته بيدها. ووصله صوتها عبر الهواء وهي تقول: «أحبك». أو ربما تساءلت إن كنت تحبني؟ بقيت تنظر إلى الشمس وهي تهبط. كانت قرصاً ممتلئاً بالنار، حَوَّلها الأفق إلى ثلاثة أرباع الدائرة، إلى نصف دائرة، ثم لاشيء، بينما بقي طيف أحمر في الموضع الذي اختفت فيه. لتصنع السماء فيما بعد دوّاراتها الوردية. وليبدأ سواد الليل بمحو بقايا الشفق.

ـ هل سيظهر القمر هذه الليلة؟ ـ تساءلت بصوتٍ عالٍ.

نظرت إلى المنحدر ورأت الفتحة السوداء، ثم بعد حين إلى الأسفل أكثر، الزبد الأبيض مايزال يُرى حتى الآن. تحركت في جلستها، وتركت قدميها تتجهان نحو الخارج، معلقتين في الفراغ. بعد ذلك استندت بذراعيها على الصخرة وحررت جسدها، وبلا أقل ضجيج تركته يسقط في البئر الأسود العميق، الذي كان الشاطئ، وهو تقريباً اثنان وثمانون متراً إلى الأسفل.

جوا جيماريش روسا

«البـرازيل»

جيماريش روسا (1908 - 1967)، ابتدأ الأدب وله من العمر 48 عاماً عَبر كتابه الأول وهو رواية «السارتون الكبير: دروب» (1956) التي تُعتبر بداية العصر الذهبي للرواية اللاتينية المعاصرة. امتهن الطب وعمل موظفاً في وزارة الخارجية البرازيلية. يُعتبر مبتكر الرواية الجديدة أو (اللا رواية) في الأدب البرازيلي، كما اعتُبر مُحدثاً في اللغة عبر المزج مابين المُندثر منها والمعاصر.

نشر بعد ذلك:

«جسد راقص» 1956 ، «قصص أولى» 1962 ، وظهر آخر نتاجاته بعد موته: «هذه القصص» 1969 .

مات بالسكتة القلبية بعد ثلاثة أيام من انتخابه عضواً في الأكاديمية البرازيلية للآداب.

الأخوة داغوب

مصاب عظيم. كان ذلك ليلة السهر عند جثمان داماستور داغوب، الأخ الأكبر لأربعة أشقاء، جميعهم من قطاع الطرق.

لم تكن الدار صغيرة، لكنها لم تكن تكفي لمن أتوا للعزاء. كان الجميع يفضلون البقاء قريباً من الجثمان، وماكان يخشونه بحق هو الثلاثة الأحياء.

شياطين هُم آل داغوب، رجال بلا قيمة، عاشوا في غرفة ضيقة، دون امرأة في البيت، دون أي أقارب، تحت إمرة المرحوم الظالم. كان هو أسوأهم جميعاً، الرأس المدبر، الأقسى فيهم، أستاذاً في مهنته وقد أجبر الشباب على حمل السمعة السيئة، هؤلاء الصبيئة، حسب كلامه الفظ.

لكنه الآن يرقد ميتاً، دون أية شروط، تاركاً للخطر أن يُزهر. وقد حاز - في ضوء الشموع وبين الأزهار - على ذلك التعبير وحسب ودون رغبة منه: ذقن القُرصان. الأنف المعوج وآثامه الشريرة. في نظرة الحِداد للثلاثة، وجَب عليهم دون شك المحافظة على الاحترام المناسب.

كانوا يضيّفون من حين لآخر القهوة. يحفظونها ساخنة، فاتحة كما جرت العادة. راحت بسبسات صامتة تصدر من مجاميع الأشخاص في الزوايا المعتمة أو تحت ضوء القناديل والفنارات.

وفي الخارج خيّم الظلام وأمطرت قليلاً. من وقت لآخر يتكلم أحدهم بصوت عالٍ، وفجأة يهدؤون ويتأسفون، متذكرين سهوهم في النهاية. مثلما يجري دائماً، ستكون الاحتفالية على طريقتهم هُناك. لكن كل ذلك كانت له نفحة ريح مفزعة.

كان بعيداً عن الحضور، سيدٌ مسالم ومتواضع يدعى ليوخورخي، المحترم من الجميع، والذي أُرسل لأجل داماستور داغوب وجعله واحداً من الموتى. كان داغوب هذا، دون وجه حق، قد هدده بقطع أذنيه. حينذاك، وحالما رآه، تقدم إليه شاهراً خنجره ذا النصل اللامع، لكن الفتى الصامت، والذي حصل على مسدس، رماه بإطلاقة في منتصف الصدر، فوق القلب، وحتى هنا كانت الحكاية. لكن بعد ما حدث، والمرعب في الأمر، أن الأخوة داغوب لم يسعوا للأخذ بثأرهم. على العكس تماماً عجلوا في ترتيب المراسم والدفن. بدا ذلك غريباً. خاصة أن المسكين ليوخورخي قد مكث في القرية، وحيداً في داره، خاضعاً لما هو أسوأ، دون رغبة في القيام بأية حركة.

مَن يفهم ذلك؟ هؤلاء الأحياء من آل داغوب أكملوا الواجب بكل احترام، هادئين وحتى دون شغب، لكن مع القليل من الغبطة. في البدء تحرك ديرفال الأصغر، بنشاط كبير بين الناس الذين وصلوا أو ممن كانوا في البيت «عذراً للمعاملة السيئة...». دوريكون، الأكبر بين أخوته، الأكثر بدانة، بين حجم الأسد والبغل، بحنكٍ بارز وعينين صغيرتين مسمومتين، كان ينظر إلى الأعلى، وبهدوء تام تلفظ: «لقد أخذه الرَبّ!». والأوسط، ديسموندو، الرجل الجميل، كان عَبْرَ شعور من الورع مذعوراً لرؤيته الجسد فوق المنضدة: «أخي الطيب».

لقد كان الميت بالفعل شحيحاً، أو أكثر من ذلك، كان آمراً وقاسياً، ويعلمون أنه قد احتفظ بكمية معتبرة من المال، حزم ورقية في أحد صناديقه.

ماكانوا يتظاهرون به لم يكن الحقيقة. لم يغضبوا من أحد. إنهم يعرفون إلى أي مدى يتوجب عليهم إظهاره. كما لو كان تجسساً. فيما بعد أرادوا أن يمضوا في بقاع الأرض وحسب، دون أي إزعاج.

«الأفضل لو كان بسرعة شديدة!». الدم بالدم، ولكن لليلة واحدة، ساعات، بينما يُكرمون الميت، يستطيعون انتزاع الأسلحة بضمانة مزيفة، وحالما يقبضون على ليوخورخي، سينتهون منه. ذلك مايدور في الزوايا، دون أن تتعب ألسنتهم أو شفاههم بالهمس والضجيج، ودون أن يخلُّوا بالنظام. لكن آل داغوب أولئك بالرغم من أنهم متوحشون بإطلالتهم وحسب، إلا أنهم كانوا بارعين في ذلك للسيطرة على الآخرين، لكن الرؤساء لم يتركوا شاردة تمر بسلام، إذ يرون أنهم يخططون لشيء ما. وللسبب ذاته لم يستطيعوا التغاضي عن أية حيلة مؤكدة ومقنعة وهم على وشك أن يضحكوا لذلك. بمقدورهم الآن! الدم... دائماً وفي كل لحظة ممكنة. مندفعين يتبع أحدهم الآخر، للانضمام معاً عند زاوية قريبة من النافذة، في تواطؤ دقيق. لم يبتعد واحد من الثلاثة. ماذا كان هذا؟ لماذا هُم حذرون؟ يدنو منهم أحد الحضور، بين حين وآخر، كان ذلك عرّابهم الموثوق به وقد حمَل لهم أخباراً سرية.

ياللمفاجأة! مضوا وعادوا، والذي حاولوا التحدث عنه كان يدور حول الفتى ليوخورخي وحسب، القاتل بدفاع شرعي عن النفس، يداه الاثنتان نقلتا داماستور داغوب من هنا إلى الأبعد. الآن عُرف عماذا يدور الحديث بين الشموع. دائماً ينتقل الحديث عن أحدهم، شيئاً فشيئاً.

ليوخورخي الأعزل في مسكنه، دون رفقة. ياترى هل جُنّ؟ ربما لم تسنح له الفرصة كي يهرب، إذ كان يُخمن النتيجة: حيثما يكون بعيداً سيطاله الثلاثة. لافائدة من المقاومة. لن يهرب. كل ذلك بلا فائدة. لابد أن يختبئ. إنه يُرى شاحباً هناك، مبللاً بالخوف،

دون وسيلة، دون فائدة، وبلا سلاح، كان روحاً بحاجة للمساعدة ألم يكن حينذاك...

كانت فكرة أولية فقط. واحد من هناك أتى عائداً وأخبر أهل الميت بالخبر. مضمون هذه الرسالة بأن الفتى ليوخورخي، المزارع الجريء، أكد أنه لم يشأ قتل شقيق أي إنسان مسيحي، ضغط على الزناد فقط في اللحظة الأخيرة ليُحرر نفسه.

هذا القَدَر المحزن! لقد قتله بكل احترام. ولكي يُثبت شجاعته أبدى استعداده للحضور دون سلاح، لقد وعد بالمجيء إلى هناك، بين الحضور كي يُوضح بصلابة خطيئته، إذا ماعاهده الثلاثة بالأمان.

شُحوب مذهل. لقد شُوهد على أية حال خائفاً، لابدّ أنه جُن فعلاً ليوخورخي هذا، أصدر حكمه بنفسه. هل لديه الشجاعة الكافية كي يقفز فوق سطح من الجمر، أو لينثر إبره؟ على الأغلب عرف بأن حضور القاتل يُعاود إنبات الدم في جسد الميت! أي أزمنة هذر. ماهو أسوأ من ذلك ألّا وجود لسلطة في المكان.

كانت الجموع تتلصص على آل داغوب، أولئك الثلاثة برموشهم الطويلة «اتركه...».

قال ديسموندو ذلك فقط. ديرفال «على الرحب... الضيف شرف للبيت». وافقه سيفيرو. أما الضخم دوريكون فلم يقل شيئاً. إذ زاد في جديته. أصبح الحضور في شك، أكثر حيطة. هطلت زخة مطر من جديد. بدت مُهلة القداس، أحياناً طويلة.

انتهوا إلى سماع الأسوأ. هل فشلت الوساطة! وصَلَ رُسلٌ آخرون يريدون تحقيق السلام، أو ليقوموا بالنجدة عندما تسوء الأوضاع. جُملة طائشة! ماذا كان هذا. ليو خورخي عرض المساعدة في حمل النعش... هل سمعتم ذلك جيداً؟ مجنون بلا شك، لماذا لايكتفي بذلك من هؤلاء الوحوش الثلاثة الهائجون.

هذا مالم يتصوره أحد. استلم إشارة من دوريكون بمزاج

مضطرب. تكلم بصورة غير عادية اتسعت لها العيون الباردة حينذاك. أجل، يستطيع المجيء ـ قال ـ بعد أن أغلق التابوت. تشابك الموقف. لقد شُوهد مالم يكن متوقعاً... أجل وأجل... مضت الحشود المنتظرة لتُراقب. صمتٌ ثقيلٌ يجثم فوق القلوب، خوف متناثر على الأقل. كانت أوقاتاً مرتبكة. وببطء شديد برز النهار. كانت رائحة الميت قد انتشرت منذ زمن... هيا!

أُغلق التابوت دون تظاهرة، وبلا كلمات شُكر. كان التابوت بغطاء طويل: نظر آل داغوب بكرهٍ، لابد أنه كره مُوجه إلى ليوخورخي. من المحتمل هذا، تهامسوا. شائعات بلا آخر. ضجيج مُحزن... «هاهو يأتي...» وكلمات مُقتضبة أخرى. لقد وصل حقاً. كان عليه أن ينظر بعينين شاحبتين. بدا الفتى ليوخورخي طويلاً، متطوحاً بالضربة القاضية، لم يكن متشجعاً ولم يكن مستعداً للمواجهة. جاء بروح مُستسلمة، بخضوع قدري. اتجه نحو الثلاثة. «مع المسيح» قال هو بتصميم. كانوا هناك، ديرفال، ديسموندو والشيطان دوريكون بهيئة آدمية... قال شيئاً كهذا «هم م م.. آه!..» وحسب. ماذا كان ذلك؟ انحنى على المقبض ليحمل معهم. ثلاثة رجال في كل جانب. اختار ليوخورخي المقبض الأمامي من جهته اليسرى. أومؤوا، وانضم آل داغوب.

كان الكره يحيطهم. حينذاك خرجت الحاشية، منهين مالاينتهي. تجمعات وحشد من الناس، أفواج صغيرة. كان الشارع ملطخاً بالطين، النمامون في المقدمة، بينما المحتاطون في المؤخرة. أطرقت العيون حتى الأرض. بدا التابوت في مقدمة الجميع محاطاً بتوتر طبيعي. آل داغوب وبقربهم ليوخورخي منحنياً. كان الدفن الأكثر أهمية.

تحركوا، قدم إلى قدم، خطوة بخطوة. في ذلك الهرج كان الجميع مابين همسٍ أو صمت مُدركين جوعهم الشديد للتساؤل. لم يحاول ليوخورخي الهرب، كان عليه أن يُتم دوره بشكل مناسب. سادّاً أذنيه. لم يشأ الشجاع أن يتراجع. تصرف كخادم. بدا التابوت

ثقيلاً. كان آل داغوب الثلاثة مسلحين، قادرين على فعل أي شيء. وقد حددوا هدفهم. بالإمكان تخمين ذلك دون أن تنظر إليهم. في تلك اللحظة هطلت رشقة مطر. تبللت الوجوه والملابس. وليوخورخي أي فَزعٍ! كانت رغبته في المغادرة عكس هدوئه الشبيه بصمتٍ أسير. هل كانَ يُصلي؟ لم يُعرف أي شيء من هذا، كان هناك حضور مميت وحسب. والآن عُرف كل شيء: أنزلوا التابوت في حفرته، وبينما التابوت مايزال معلقاً في فوّهة اللحد قتلوه في الحال. خف تراشق المطر. ألم يدخل إلى الكنيسة؟

كلا، ففي تلك الناحية لايوجد قس.

ثم واصلوا سيرهم.

آرتورو أوسلار بييتري

«فنزويلا»

ولد عام 1906 . لم يكن النقد الأدبي عادلاً على العموم مع هذا الأديب الفنزويلي الكبير، متناسياً أهميته في تأسيس أدب خالص لأميركا اللاتينية مع كاربنتيير الكوبي وأستورياس الغواتيمالي.

يُعتبر مؤسس الرواية التاريخية (أو التاريخية - الأسطورية) وقد ألف روايات عديدة تدور حول شخصيات معروفة معظمها عسكرية قيادية مثل:

رواية «الأسهم الملونة» 1931 عن حياة القائد الثوري سيمون بوليفار محرر دول أميركا اللاتينية، وكذلك روايات أخرى مثل: «طريق الدورادو» 1947 ، «جزيرة روبنسن» 1981. له في القصة: «باربارا وقصص أخرى» 1928 ، «شبكة» 1936 ، «ثلاثون رجلاً وظلالهم» 1946 .

الصندوق

1

حالما غادروا الميناء بدأت الفضيحة.

أربع كلمات قاسية، والشمس تصهر سطح المركب. جثم فوقه بسكينه الجرداء حتى سقط إلى الأرض ببطنه العظيمة الشرهة وهي تفور بدمها. عندما صعد إلى فتحة المركب صادفه كومانا برأسه الفتيّة وكتفيه الغليظين، ضاغطاً على الغليون بين أسنانه.

ـ فيليب إلى أين تمضي بهذه السرعة؟

ـ كلا إلى هنا وحسب أيها الأخ. آ آ آ إلى القرية!

ـ القرية وفي وضعنا هذا، فيليب؟

لم يستطع قول شيء آخر.

أثناء ذلك أطل كومانا فوق فتحة المركب، وعلى سطحه تلطخ بصره بدماء فائرة.

ـ تعال هنا فيليب، ماهذا هناك؟

لم يحظَ بردّ آخر سوى أن يقول كل مالديه. بكى.

ـ دعني أذهب. لاتقل شيئاً.

ـ ماذا ستفعل؟ لاتريد أن ترمي بنفسك إلى البحر.

توقف القاتل أمام هذا التساؤل.

ـ كلا. ماذا أفعل إذاً؟

حينذاك أمسكه كومانا الطيب من ذراعه بقوة، بينما حاول أن يفك نفسه.

ـ ماذا...؟

ـ لاتتصرف بحماقة؟

2

مرت ثمانية أيام منذ أن أبحروا. ثمانية أيام مُذْ غطى الإعصار سطح البحر الأزرق مثل عصفور. قبل ذلك كانوا قد رموا الجثة الملفوفة بحبال الأرجوحة بين الأمواج. تكفل برميها بحّاران، حال سقوطها طرطش الماء وجهيهما، جففاه بكميهما مثلما اعتادا ذلك بعد وجبة الطعام.

أما فيليب القاتل فقد بحثوا عنه في كل زوايا السفينة حتى تعبوا، وتجمع الرجال عند الحافة كي ينظروا المياه الشاسعة بفضول. ابتسم كومانا متكئاً على الساري الأمامي. فيما بعد نسوا كل شيء. كان عليهم أن يبحروا إلى أبعد... إضافة لذلك فالبحر معلم الشدائد.

3

يوماً ما أظلمت فيه السماء قليلاً، وابتدأت الريح صفيرها الخشن فوق سطح الماء، ومن تحت تزحلقها الكبير، حرضت الأمواج على الارتفاع.

بدأ هطول المطر بقطراته الكبيرة.

كانت السفينة محملة بالكامل، فلم تستطع الصمود أمام اضطراب الماء الذي يهز استقرارها.

كانت هُناك حركتان دون تناغم مشترك: إحداهما قوية

ومباغتة والأخرى متعبة وبطيئة. وراحت أفواه البحارة تتمتم باللعنات.

لحظات وارتفع قيدوم السفينة حتى كسرت الريح لوح الرافدة. بعد ذلك اخترقت ضربة البحر الكبرى الساري، ودخلت ميسرة المركب متحطمة فوق سطحه.

ارتفعت المياه، ارتفعت، ارتفعت حتى غطت المجاديف، لتكتسحها فيما بعد، كطريق مسدود لعملٍ منتهٍ. ترنح قائد الدفة مثل راية فوق المقود. كان الوضع يائساً. غاصت أيدٍ في مؤخرة السفينة.

ـ هيا جميعكم، لترموا البضاعة إلى البحر! ـ صرَخ القبطان.

كان كومانا متكئاً على العمود الكبير يراقب ويبتسم.

رمى الرجال أنفسهم وسط المياه في مخزن المشروبات. تنقلت البالات، مُنزلقة بين الأيدي، كي تسقط في عرض البَحر.

حرّك بحاران قويان صُندوقاً رُسم فوق غطائه علامة صليب من الكربون.

ـ هذا لا ـ صَرَخَ كومانا.

كان الصخب العالي يمنعهم من سماع الصوت.

حاول أن يتحرك كي يصل إليهم، كي يقول لهم لاتفعلوا هذا، لكن موجة عظيمة أجبرته أن يتمسك بكل قواه بأحد الأعمدة. قفزت عيناه بعيداً. رآهما يرفعان البرميل، ثم يصل رجلان ويتلقفاه بذراعيهما القويين ويؤرجحانه في الريح.

ـ هذا لا.

وفي الختام رآه يقفز في الفراغ ويبتلعه الضباب المزمجر.

خوليو رامون ريبيرو

«البيرو»

ولد عام 1929 في العاصمة ليما. قاص، ناقد، كاتب مسرحي. والشخصية الأكثر تميزاً في أدب منتصف القرن.

كتب القصة القصيرة طوال حياته، ويُعتبر واحداً من أهم المجددين فيها.

أصدر مجموعته القصصية الأولى عام 1955 بعنوان: «دجاج دون ريش» وتتابعت أعماله الإبداعية: «وقائع حياة سان غابرييل» رواية 1960، «تغيير الحرس» 1964، جمع قصصه القصيرة في ثلاثة مجلدات بعنوان: «كلمة الأخرس» 1973 - 1977.

له في المسرح: «حياة وغرام سانتياغو المسافر» 1959.

برميل الزيت

في المطبخ شبه المعتم والمضاء فقط بالجمر الأحمر، وهو يطقطق في المشواة، كانت العجوز دوروتيا وابن شقيقها باسكوال ينظران بصمت. بقيت هي واقفة على قدميها، وخصلات شعرها الأشيب مغطاة بمنديل أسود. بينما الوجه مسخم ومعوج في تكشيرة جامدة وبليدة. أما ابن شقيقها فقد جلس القرفصاء متوجهاً إليها بعينين مذعورتين، بينما أصابعه تستند إلى الأرض وتخربش بعصبية. لم تكن العمة تنظر إليه باستقامة، ولكنه كان هناك مقيداً دون حراك. منذ ربع ساعة كانا هناك، مثل مسحورين دون أن ينطقا بكلمة.

ـ هكذا إذاً مضيت مع فأس اليوتوريو ـ دمدمت هي.

لم يردّ الفتى، فقد أجبرته على خفض رأسه من التأثر، بينما راح صدره يهتز بدقات ضعيفة.

ـ ابن الكلبة! ـ صرخت العمّة، ونفضت ذراعاً ناتئ العظام ومغطى بعروق سوداء ـ وبعد ذلك تأتي لتختبئ في بيتي! لماذا لم تهرب إلى المرتفعات! كان عليك أن تأخذ أحد البغال عند موضع الماء وتمضي به حتى الجبال! لديك الشجاعة أن تصعد إلى أرضي وتدوس السنابل، ولكنك لاتستطيع الذهاب وحيداً في الأرض الوعرة.

كان الفتى في كل مرة تنحني رأسه أكثر، يتأوه مرتجفاً،

عارضاً للنظر رقبة قذرة ومشققة. راقبته دوروتيا بتعبير ازدراء لانهائي بعينيها القاسيتين. عاد ليُقاطع ذراعيه ويرسم فمه خطاً يميل للقبح.

ـ وكل هذا من أجل أنطونيا؟ استعلمت من جديد.

أطرق الفتى برأسه.

ـ كل هذا بسبب أنطونيا، هذه الفتاة المقمّلة والتي حتى الآن لايمكن لها أن تكون أماً.

غمغمت العمة لتستعيد بعد ذلك وقارها القديم.

رفعَ باسكوتال عيناً مختلسة نحوها وخفضها دون أن يَرُدّ. احتل الصمت فضاء المطبخ من جديد. من حين لآخر تُسمع طقطقة شرارة في المشواة أو ثغاء كبش في الفناء. كان الظلام قد خيم في الخلاء، في الحال رفع باسكوال وجهه المزّرق المبلل بدموع وسخة، وفتح شفتيه تاركاً لكلماته أن تسقط:

ـ أنا خائف عمتي دوروتيا ـ صرخ ـ سيعرف الحرس كل شيء. العمّ استيبان عريف وسيتبعني!

ـ اخرس ياقليل الحياء ـ قاطعته العجوز ـ يستطيعون سماعك من كوخ بيدرو ليماتيا! ـ وخفضت من صوتها حتى وصلت به إلى الهمس، ثم أضافت ـ وأين تريد الاختباء ياكسرة القذارة؟ إذا وجدوك هنا أنا من سيدفع ثمن كل هذا. تتذكر ماحصل للعمة دوميتيلا عندما خبأت في بيتها الوغد دومينغو، وكان قد سرق بقرتين. فقط من أجل بقرتين!

تقدمت العمّة دوروتيا خطوة نحوه، خطوة آلية تشبه خطوات دُمى الخشب:

ـ عليك أن تذهب من هنا! عليك ألّا تترك ولو أثراً وحيداً. تفهم كل ما أقول، وإذا اصطادوك احذر أن تخبرهم أنك قد مررت من هنا. سأمنحك قطعة خبز، وهكذا أكون قد خدمتك. تحرك، انهض! لقد خيم الظلام.

لم يتكلم الصبي. بدت رقبته ممدودة إلى الأمام فِي وضع غير مريح، وإحدى أصابعه منتصبة برهافة. كان على وشك السقوط على وجهه، ومع ذلك، فقد كان متوازناً كأنه يُجرب واحداً من فنون السحر.

ـ ماذا؟ ـ سألت العجوز منحنية فوقه.

ـ بشش؟ ـ دمدم باسكوال، ونَمَّ وجهه عن توتر ممزوج بالرعب. استمع بوضوح إلى همهمة حصان.

ـ لقد وصلوا! ـ صرخ، ونهض بقفزة واحدة. ارتمى بظهره قرب الحائط، وبقي هناك بعينين مفتوحتين على اتساعهما.

اقتربت العمة دوروتيا من النافذة. دفعت درفة الشباك وأشرفت على كوخ بيدرو ليماتيا. كان هناك حارسان راجلان. رأتهما يتحدثان مع الفلاح العجوز، ليعودا فيما بعد لامتطاء حصانيهما الريفيين. اقتربت العمة من ابن شقيقها الذي استمر بنقر الحائط كما لو أنه يشبك الدبابيس، تقاطعت يده العظمية فوق وجهه مّرات، إلا أنه لم يفتح شفتيه.

ـ والآن؟ ـ استعلمت ـ انظر إلى الفوضى التي أدخلتني فيها؟ ماذا سأقول لهما. اقفزْ من النافذة، واهرب حتى القرية المجاورة. اختبئ بين الصخور الوعرة.

رنّت حدوات الحصانين فوق حجارة الطريق. ثغت بْعض الخراف المذعورة.

ـ لقد تأخر الوقتُ! ـ تذمرت العمة دوروتيا، وقطعت جدران المطبخ الأربعة بعينيها اللامعتين.

قرب الباب لمحت برميل الزيت الذي ملأته بالتمام في الليلة السابقة.

ـ انظرْ! ـ قالت للصبي، ودفعته بذراعها ـ ادخل إلى هنا، تحت، بسرعة! عندما يدخلان من الباب، اخفض رأسك، وسأنبئك بضربة

على هيكل البرميل حالما يخرجان، وانتبه ألّا تنبس بكلمة. هيا ـ أضافت عندما رأت أن باسكوال قد مكث دون نَفَسْ.

عندما دخل الحارسان نظرا إلى العمة دوروتيا وهي تجلس قرب المطبخ، ونظرتها شاردة مع اللهب الأزرق.

ـ انهضي ـ أمرها واحد منهما، بينما الآخر ببندقيته الجاهزة يفتش في الزوايا المعتمة. لم تتحرك العمة دوروتيا.

ـ أين ابن شقيقك.

ـ لم يعد لي ابن شقيق ـ أجابت هي، دون أن تدعهم ينتبهون إلى الجمرات.

ـ وباسكوال مولينا؟

ـ لاأعرفه...

فاجأها أحد الحراس من الظهر، وأنهضها بقسوة.

ـ لن تخدعينا. أخبرنا بيدرو ليماتيا أنه شاهده يدخل البيت قبل أن يخيم الظلام.

ـ لاتلمسني! ـ نهرته العجوز، بنبرة متوحشة، أجبرت الحارس أن يتركها ـ لاتّعد للمسي ـ أضافت وقد برز الفم مزبداً بصفير قذر ـ إذا كنت تعتقد أنه هنا، فلتبحث عنه، ولكني الآن لاأعرفه.

أوقد أحد الحراس شمعة في المطبخ، وخرج ليبحث في الجوار. بقي الآخر قرب دوروتيا، ناظراً في كل جانب بعدم ثقة.

ـ إلى أين تؤدي هذه النافذة؟ ـ سأل.

ـ إلى كوخ ليماتيا ـ أجابت العجوز.

ـ وهذه الكوة؟

ـ إلى المقبرة.

نظر الحارس إلى برميل الزيت.

ـ ماذا يوجد هنا؟ ـ سأل مقترباً.

ـ زيت.

انحنى الحارس فوق حافته ولاحظ سطحه الأملس.

ـ هل هو من النوع الجيد؟ ـ سأل وهو يدخل إصبعه، ولمّا لاحظ أن وجه العجوز لم تتحرك فيه أية غضون، أضاف متملقاً ـ سأشتري منك كي تهديني القليل منه.

في هذه اللحظة ظهر الحارس الآخر.

ـ لايوجد أحد ـ قال وهو يضع بندقيته خلف ظهره ـ العجوز ليماتيا هذا، بسبب الأقداح التي يشربها، تتراءى له الأشباح دائماً.

نظر الحارسان إلى العمّة دوروتيا، منتظرين بعض الكلمات منها، لكن العجوز بقيت غير متأثرة، بذراعين عنيدتين متقاطعتين، كما لو كانتا متشابكتين بلحمها.

ـ حسناً ـ قال الحارس، رافعاً طرف قبعته ـ رأينا أنه لايوجد أحد هنا.

ـ ليلة سعيدة ـ أضاف الآخر فاتحاً الباب.

ـ لقد تخلصت بصورة جيدة ـ أضاف الأول مجتازاً عتبة الدار.

لم تجب العمة دوروتيا وعندما أغلقا الباب خلفهما لم تتحرك كذلك.

انتظرت بسمع مرهف أن يمتطيا حصانيهما. عندما أجاب وقع الحدوات متلاشياً ببطء، انفرج خط شفتيها ونبتت فوقه ابتسامة مُفتعلة، كما لو حركتها الصفعات. حملت مدقاً واقتربت من البرميل وضربت على هيكله.

ـ تستطيع الخروج! ـ صرخت ـ لقد ذهبا.

اهتز سطح الزيت لفترة بتأثير الضربة وبقي فيما بعد هادئاً إلى الأبد.

سالاوري

«السلفادور»

سالاوري (1899 ـ 1975) هو الاسم الأدبي لـ سلفادور سالازار آروي. أنهى حياته الأدبية بديوان شعر قبل موته بأيام قليلة. واحد من أهم كتّاب موجة الرواية الإقليمية عاصر أغلب الأجيال بدءاً بحركة الحداثة في القارة. روائي، قاص، شاعر ورسام. اشتغل مديراً لتحرير صحف أدبية، وعيّن ملحقاً ثقافياً لسفارة بلده في الولايات المتحدة عام 1946 .

في عام 1926 نشر روايته الأولى «المسيح الأسود» حيث أعيد طبعها لعدة مرات.

وفي عام 1927 نشر رواية «سيد الفقاعات» و«عطش سلنغ بادر» 1971 . كما نشر مجموعات قصصية عديدة منها:

«هذا وأكثر» 1940 ، «قصص المغفلين» 1945 ، «السيف» 1960 ، وكذلك مجموعته المعروفة «قصص من صلصال» التي اخترنا منها قصة «علبة الدخان»، حيث تحولت بدورها إلى المسرح عام 1963 وإلى التلفزيون عام 1974 .

علبة الدخان

كانت شاحبة كجناح فراشة: جميلة وحزينة مثل عذراء الهراوة التي توزع البركات بيديها. لها عينان كدمعتين كبيرتين جامدتين. فمها كما لو أنه لم يخلق للّثم، إذ لم يكن لها شفتان، كان فماً جاهزاً للبكاء، فوق كتفين يحملان حدبة تنتهي بنقطة. كانوا ينادونها ماريا الصغيرة.

كانوا أربعة في الكوخ: توليس (الأب)، شون (أمها)، وشقيقها الضخم لنشو. كانت ماريا دائماً بدرجة أدنى منهم. عندما يكونون جميعاً جادين، تشرع بالبكاء، وعندما يبتسمون تكون جادة. عندما يضحك الكل كانت تبتسم. لم تضحك أبداً. كانت تعمل للعثور على البيض وفي غسل أشياء المنزل، مُهمهمة كحيوان صغير.

ـ اهدئي وإلا سأشقُ لكِ علبة الدخان هذه.

ـ ياللصغيرة! ـ يقول توليس الأب ـ ولكني أحياناً أقاوم رغبتي في تحطيم علبة دخانها بضربة واحدة.

كانت هي تراقبهم، وتمضي من زاوية إلى أخرى، تثني رأسها إلى الجانب، تهزُ جسدها الضعيف كما لو أنها تسحبه. تقترب من الصندوق وبإصبعها تقشط بعض اللطخات، أو تجلس في مهجعها، متجسسة من ثقب في الجدار على من يسير في الطريق. لديهم في

الكوخ مرآة مضببة بحجم قطعة نقود من فئة كولون، لاتستطيع أن ترى فيها الحدبة أبداً، لكنها تشعر أن شيئاً مايسحقها في الظهر، مثل تقويرة تصلح لإخفاء رأس سلحفاة، ويطلُ فوق ذراعيها كعلبة دخان.

حملها توليس الأب يوماً إلى المطبب الهندي:

- جلبتها لك، لو تستطيع أن تزيل عنها هذا المِنخس... ربما تنفعها حِجامة.

- عليَّ أن أقوم بتجارب صعبة. انظر، لو تركتها معي ثمانية أيام سأعالج ماأستطيعه.

وقال له توليس بأنها ستبقى عنده.

تعلقت بأذيال الأب، لاتريد أن تبقى في بيت المُطبب، إذ كانت المرة الأولى التي تخرج فيها بعيداً، وبرفقة رجل غريب.

- بابا، باباتي خذني معك ولاتتركني.

- اهدئي أقول لك. سنأتي لرؤيتك الاثنين القادم.

قيّدها المطبب من يديها الناتئتي العظام.

- اجري سريعاً ولكني سأمسك بك.

عندما خرج الأب إلى الطريق، حجزها المطبب في إحدى الزوايا حتى لاتجرؤ على الهرب. خيم الظلام وصاحت ديكة مجهولة، بينما كانت ماريا تبكي طوال الليل. أبصرها المطبب ووجد أنها ماتزال صبية.

- سأعالجك، أهاها! - فكر وضحك في سره.

كانت الساعة الثانية، عندما اقترب منها المطبب، وأمرها أن تخلع ثيابها كي يمنحها حجامتها الأولى. لم تكن تريد وبكت بشدة. حينذاك قيّدها الهندي بقوة ساداً فمها، ومددها فوق السرير.

- بابا، باباتي!

أجابتها دواليب العجلات الليلية وهي تغطس في حفر الطرقات البعيدة.

في يوم الاثنين حضر توليس. وبرزت له ماريا مزمجرة. لم يكن المطبب في بيته.

ـ هل عالجك؟

ـ أجل ياأبي.

ـ هل أوجعتك؟

ـ نعم، بابا.

ـ ولكني لاأرى أي انخفاض...

ـ يقول إنها ستنخفض قليلاً قليلاً.

عندما وصل المطبب، سأله توليس كيف تسير الأمور.

ـ جيدة، ألا ترى ـ قال له ـ فقط يجب أن تصبروا أشهراً. لابد أن ينخفض تدريجياً.

عَلِم المطبب أن توليس قدِم لأخذها، طلبَ منه أن يتركها لوقت آخر، كي يستمر بمراقبتها. لكن توليس لم يشأ لأنه شعر بفراغ الصغيرة في كوخه. وبينما كان الأب ينتظر على جادة الطريق، منح المطبب الصغيرة آخر حجامة.

بعد ستة أشهر ظهر شيء غريب على ماريا الصغيرة. راحت حدبتها تنخفض نحو البطن لتنمو يوماً بعد آخر بشكل فاضح، بينما لم ينخفض ظهرها بشكل ظاهر.

ـ هيه ـ قال توليس يوماً ما ـ هذه الصغيرة حبلى.

ـ الله قادر على كل شيء ـ قالت الأم.

ـ كيف كانت الحجامة التي قام بها لك.

شرحت لهما ذلك بدقة.

- ايـ خ خ خ - زمجر توليس - عندما أراه سأقطع له رأسه، ياللشيطان!

ولكن الوقت مرّ بصورة عادية، والصغيرة لم تكن مشغولة البال.

المولِّدة التي وصلت لإسعافها، أعلمتهم أن الصبيّة شاحبة جداً. ويتحول لونها إلى الأخضر. لذا شخّصتها مجدداً.

- لديها حمى العفن. دمها ملوث وفاسد.

- إي ي ي؟

- وَجب أعطاؤها غُسولة نافعة، مع شاش منقع بزيت معطر ويُخلط بروث بقر - فعلوا ماقالت لهم.

كل يوم يمر كانت تنطفئ. تخمد. وكان الجميع يشارك في تحريكها. لم تستطع إبقاء فمها إلى الأعلى بسبب علبة الدخان، ولا إلى الأسفل بسبب بطنها المرتفع. في الليل ماتت.

بقيت حتى الفجر مضطجعة على أحد جانبيها، وهي ممددة في فراش وسط الكوخ، بين أربعة قناديل. قالت جارتان للأهل:

- مسكينة، لقد كانت طيبة. لم تزعج أحداً أبداً أو تثير انتباه أحد.

- قديسة، أجل، حتى أنها، انظروا، لقد تحولت إلى صليب!

بدت أكثر من صليب، حتى أنه كان بشكل حرف إكس (X)، خط يمر بجسدها ويخترق علبتي الدخان. صنعوا لها تيجان العائشات إلى الأبد. بدت كما لو في حلم عميق، وذلك لأنها كانت دائماً بدرجة أدنى من الآخرين. عندما كانوا يضحكون كانت تبتسم. وعندما يكون الجميع جادين كانت تبكي. والآن، عندما كانوا يبكون لم تجد حلاً أفضل من أن تموت.

خوان بوش

«الدومنيكان»

إن الجانب الأكبر من حياة هذا الأديب المميز (1909) يصب في عالم السياسة. حيث أجبرته ظروف بلده في ظل حكومة الدكتاتور (تروخيليو) إلى الهرب والإقامة في كوبا. ليعود إلى بلده بعد موت الدكتاتور عام 1961 . بعد عامين انتخب رئيساً للبلاد. وبعد عام واحد من انتخابه تعرض البلد لانقلاب عسكري مما اضطره للعيش مابين هافانا وبويرتوريكو. في العام 1969 يعود لبلده، ويُرَشح مرة أخرى رئيساً للبلاد، ولكن هذه المرة لاينجح في الوصول للحكم. يُعتبر من القصاصين المتميزين في آداب أميركا اللاتينية. صدرت له:

«قصص» 1933 ، «الهنود» 1935 ، «فتاة الغوايرا» 1955 ، «قصص المنفى» 1962 ، وروايات مثل: «الذهب والسلام» 1975 .

وكتب سياسية مختلفة مثل: «أزمة الديمقراطية» 1964 ، «الكاريبي حدود المستعمرة» 1970 .

له كتاب مذكرات هو: «دافيد، مذكرات ملك» 1963 .

المـــرأة

كانت الطريق ميتة. لاأحد أو شيء يمكنه أن يحيا عليها. طويلة، لانهائية الطول، ولاحتى في الجلد الأزرق تستطيع أن تلمح أثر حياة. لقد أماتته الشمس. الشمس الفولاذية، ذات اللون الأحمر المحمّى، الأحمر الذي يتحول إلى البياض، ماكثاً هناك فوق متن الطريق تعصف به فيما بَعد شفافية الفولاذ الأبيض.

لابد أن قروناً مرّت على موتها. لقد نبشها الرجال بالمعاول والمجارف. غنوا وحفروا. البعض منهم لم يكن يُغني أو يحفر. يمتد طويلاً كل ذلك. يُرَون كأنهم قد قدموا من بعيد: متعرقين، نتنين. في المساء عادَ الفولاذ الأبيض إلى الاحمرار. حينذاك تأججت في عيون الرجال الذين حفروا الطريق شعلة صغيرة حامية خلف حدقات عيونهم.

كان الموت يمرُ بين الشراشف والظهور، والريح تحمل الغبار فوقها. بعد ذلك كان الغبار الذي تحرك هو الآخر يجثم على الجلد الأزرق.

في الجوار شجيرات شوكية. أحيان أخرى تقتصر الرؤية في اتساع أكبر عبر السهول المتقشرة. المضائق بعيدة، والطيور الجارحة قد كللت شجيرات الصبار، وأشجار الصبار بعيدة جداً، هناك، تغطي الفولاذ الأبيض.

كانت هناك أكواخ، جميعها تقريباً واطئة وقد بنيت من الطين. طُلي بعضها بالأبيض بحيث لاتُرى تحت أشعة الشمس. برزت منها السقوف المتينة الجافة وحسب، جزعة من السخونة يوماً بعد آخر. مُلوحة هذه السقوف توحي بأن الماء لم يجرِ فيها أبداً. الطرقات ميتة، ميتة تماماً. هناك كانت المرأة الزرقاء تحفر. تشاهد المرأة في البدء مثل نقطة سوداء. بعد حين مثل حجارة تركوها فوق مومياء طويلة. بدت هناك مرمية دون أن تحرك السموم أسمالها. لم تكن الشمس تحرقها. ماتشعر به من ألم مبعثه صراخ الطفل. كان الطفل برونزياً، صغيراً جداً، بعينين تفيضان بالنور، متُشبثاً بالأم ومحاولاً سحبها بيديه القزمتين. سريعاً ماسيحرق الطريق الجسد الصغير، ستحترق ركبتا ذلك المخلوق العاري والصارخ على الأقل.

كان بيتهم قريباً، لكنه لايُرى.

في اللحظة التي تحركت بها، كَبرت تلك التي تبدو كحجارة مرمية في منتصف ذلك الطريق الطويل الميت. نهضث، قال كيكو: «لابد أنه عِجلٌ دهسته شاحنة».

مدَّ بصره بعيداً. السهل. البياضات. مستعمرة قريبة، وأكوام تبن كما لو أنها تلٌ من الرمال كومتها الريح. مجرى نهر، مباذل الأرض الجافة والتي كانت مليئة بالمياه منذ ألف عام قبل الآن. تشقق السهل الذهبي تحت ثقل الفولاذ الشفاف. شجيرات الصبار تكللت بالطيور الجارحة.

أكثر قرباً، رأى كيكو أنها كانت إنساناً. سَمِع عبر المسافة صراخ الطفل.

كان الزوج يضربها. في غرفة الكوخ الوحيدة، الساخنة كفرن، يتبعها، يسحبها من شعر رأسها ويطحن رأسها بقبضة يده.

ـ ابنة العاهرة! ابنة العاهرة! سأقتلك مثل كلبة، وَقحة!

ـ ولكن إذا لم يَمُر أحد، شيبي، إذا لم يَمُر أحدا ـ تُريد أن تشرح له.

ـ كلا؟ والآن سترين... وعاوَد ضربَها.

تعلق الطفل بساقي أبيه. لايعرف الكلام بعد ومحاولاً في الوقت ذاته تجنب ضربات أبيه.

هو رأى المرأة مُدماة في أنفها. لم يسبّب له الدم أي ذعر، كلا، فقط رغبة في البكاء، أن يصرخ بقوة. من المؤكد أن الأم ستموت إذا استمرت تنزف.

كل ذلك جرى لأن المرأة لم تستطع بيع حليب العنزة، مثلما أمرها هو. بعد عودتها من الرابية، أربعة أيام بعد ذلك، لم يبق شيء من النقود. حكتْ له أن الحليب قد خثر. لكن الحقيقة أنها شربته. فضلت ألّا تحصل على نقود أكثر بينما صغيرها يُعاني الجوع منذ زمن.

قال لها بَعد أن غادرت مع ابنها:

ـ سأقتلك إذا عُدتِ إلى البيت!

كانت المرأة مَرمية فوق الأرض. تنزفُ بشدة، ولاشيء يُسمع. كان شيبي حانقاً، سَحلها حتى الطريق، وبقيت هُناك مثل ميتة، فوق ظهر المومياء العملاقة.

لدى كيكو مياه ليومين إضافيين للعمل في الطريق، لكنه استهلكها في ترطيب جبهة المرأة. حملها حتى الخص، يسندها بذراعه، وفكر بتمزيق قميصه المخطط كي يُنظف الدّم... دخل شيبي في الممر.

ـ قُلت لكِ لاأريد أن أراكِ هنا بعد الآن، ملعونة!

بدا كأنه لم يرَ الغريب. ذلك الفولاذ الأبيض، الشفاف عادَ إلى وحشيته، مُلطخاً بالدم. كان شعره كحبال قنب متناثر، وحدقتاه حمراوين.

لقد حذره كيكو. لكنه، بهيئة نصف مجنون، هدَّدَ ضحيته من جديد. كان على وشك أن يضربها. حينذاك نَشبَ الصراع بين الرجلين. بدأ الطفل الصغير صراخه مرة أخرى. تشبث هذه المرة بتنورة أمه. كان الصراع مثل أغنية هادئة إذ لم يتفوها بكلمة. يُسمع صراخ الطفل والخطوات القوية وحسب.

شاهدت المرأة أن كيكو أمسك بخناق شيبي. نشب أصابعه في رقبة زوجها. وبدأ هذا بغلق عينيه وفتح فمه، وصَعد الدم إلى وجهه.

لم تعرف شيئاً مما حَدث. لكنها كانت قريبة، وبالقُرب من الباب وجدت حجارة. حجارة مثل حمم بركانية، خشنة، سوداء تقريباً وثقيلة. شعرت بقوة جديدة وُلدت فيها. طوحت بها وسمعت الصوت الخشن للضربة.

في البدء ترك كيكو رقبة الآخر، ثم طوى ركبتيه وفتح ذراعيه على اتساعهما، وسقط على ظهره. دون تأوه، ودون أن يبذل أي جهد.

تشربت الأرض بتلك الدماء الحمراء الغزيرة. رأى شيبي لمعة الضوء اللامع فيها. غطت المرأة وجهها بيديها. كان شعرها طليقاً، والعينان متحفزتين للخروج. ركضت. شعرت بضعف في مفاصلها. أرادت أن ترى إذا ماقَدِم أحدهم، ولكن فوق الطريق الميتة تماماً، كانت الشمس الساخنة وحسب. هناك في نهاية السهل، مُستعمرة من الرمال التي كومتها الريح، وشُجيرات صَبار كَسث سطح الفولاذ.

آوغستو روا باستوس

«الباراغواي»

ولد في أسونثيون عام 1917 . في الخامسة عشرة من عمره ابتدأت حرب الشاكو (1932 ـ 1935). عام 1944 سافر إلى انكلترا ونشر كتابه الأول فيها، وهو مجموعة حوارات مع أدباء إسبان. هرب من بلده العام 1947 وأقام في الأرجنتين حتى عام 1967 ، ثم انتقل إلى فرنسا حيث عمل مدرساً للغة الغوراني، وأدار مشغلاً أدبياً في جامعة تولوز. حصل على الجنسية الإسبانية أواخر حياته. نشر كتباً عديدة منها:

«ابن الرَجُل» رواية 1960 ، «البّور» 1966 ، «أقدام فوق المياه» 1967 ، «أنا الأعلى» رواية 1974 .

البُــور

لم يكن لهما ملامح. لاحا متعرقين، غارقين في الظلام. لم يكونا أكثر من شبحين إنسانيين تائهين. جسدان متداخلان في ظليهما. متشابهان ودون شك مختلفان تماماً. كان أحدهما ساكناً، متنقلاً بمستوى الأرض بجمود البراءة أو جمود الاختلاف المطلق. بينما كان الآخر منحنياً، متأففاً من جهد الزحف بين شجيرات الحرج المتشابكة والمزابل. توقف للحظات كي يتنفس. فيما بعد ابتدأ عموده الفقري ينحني أكثر تحت ثقل وزنه. رائحة مياه النُهير الراكدة لابد أن تكون في كل الأطراف، والآن اشتدت أكثر مع الوخامة الحلوة للأرض البور، والنتنة من الصدأ وفضلات الحيوانات. هذه الرائحة اللزجة المهددة في الزمن السيء تدفع الرجل لتحريك يديه من حين لآخر حتى لايصفع وجهه. كسرات زجاجية أو معدنية تتصادم بين أعشاب المتّة. لاأحد منهما كان متأكداً من سماع هذا الغناء المتناسق والشبحي. ولاإشاعة المدينة الخامدة عن اهتزازات حدثت في باطن الأرض. الذي سحبه ربما ذلك الصرير الرقيق والأصم للجسد وحَسب، حينما وثب من جديد فوق الأرض، صفيرُ بقايا الأوراق أو الضربات الخافتة لكعوب الأحذية فوق العُلب والأنقاض. أحياناً تتشابك ذراع الآخر بالأعشاب القاسية أو بإحدى الحجارة. يفكها حينذاك على دفعات، مغمغماً بنداء عصبي، أو يطلق الـ «ها...» مع كل حركة مقاومة. هواء محصور

يساعده على رفع الثقل المتمرد عن كتفه. كان جلياً أن الوضع كل مرة يُصبح أكثر ثقلاً. ليس فقط بسبب تلك المقاومة غير المجدية، والتي تتراكم عليه من حين لآخر أمام أي حاجز، بل رُبما كانت كذلك بسبب ذعره، النفور أو الضيق الذي أتى على كل قواه، دافعاً بها إلى الخلاص بالسرعة الممكنة.

في البدء خلّص الذراعين. ولو لم تكن الليلة ظلماء لأمكن رؤية زوجين من الأيدي المتشابكة، كانت هناك استحالة ورفض للإنقاذ. عندما عاود الجسد وقوفه، أمسك قدميه وابتدأ سحبهما باتجاه الظهر، منحنياً أكثر إلى الأمام، متشبثاً بالثقوب بقوة. اهتزت رأس الآخر بسعادة، وبدت ممتنة لهذا التغيير. أضواء شاحبة عند المنعطف تتبعثر سريعاً وبوضوح على هيئة تموجات فوق أكوام الزبل، فوق أعشاب المتّة، فوق التعرجات غير المتساوية للأرض. استند ـ هو ـ وتمدّد بجوار الآخر. للحظة واحدة، تحت هذا الوخز الرقيق، تشكل شيء آخر في الوجه. كانت سحنة أحدهما زرقاء مذعورة، بينما تعفر وجه الآخر بالتراب وهو ينظر مُتصنعاً اللامبالاة. ثم عاد الظلام ليبتلعهما في الحال.

نهض، واستمر بالزحف قليلاً، حتى وصلا كلاهما إلى البُقعة التي تحتلها مروج أشجار متشابكة أكثر طولاً. مسّده ماستطاع، مغطياً إياه بالزبل، بالأغصان اليابسة والحجارة. بدا كأنه يحاول أن يتلاءم وهذه الرائحة التي ملأت الأرض البور أو مع رائحة المطر الذي لن يتأخر بالهطول. توقف، نقل ذراعه على جبهته الناضحة بالعرق، مسحها وبصق بحنق. حينذاك سمع ذلك البكاء البدائي المُفزع. صعد إليه ضعيفاً ومخنوقاً عبر الـ «يا يا يا» كما لو أن الآخر قد بادر إلى الشكوى ببكاء طفل ولد تواً تحت الزبل.

مضى ليستمع، لكنه وقف مبهوراً أمام وميض البرق الذي حرك أيضاً ظلام البناء المعدني للجسر، موضّحاً لبعض الوقت ماكان يتحرك. مال برأسه مهزوماً. ركع واقترب مرهفاً السمع لذلك البكاء الرقيق، المختنق، المُلِح. مقترباً باعتياد. كانت هناك رزمة ضاربة

إلى البياض. بقي الرجل لوقت طويل لايعرف ماذا يفعل. نهض مغادراً، تقدم بخطوات متمايلة، لكنه لم يستطع التقدم. الآن اندفع البكاء إلى وجهته. عاد تدريجياً، متحسساً طريقه في الظلام وهو يتأفف. عاود الركوع بتردد. فيما بعد بسط يده. طقطق ورق الرزمة بين أوراق الصحيفة متخذاً هيئة آدمية. حملها الرجل بين ذراعيه وكان سلوكه بليداً ومبهماً، سلوك شخصٍ لايعرف ماذا يعمل لكنه في كل الأحوال لم يستطع أن يفعل غير ذلك. انتصب ببطء كما لو أنه مُشمئز من هذا الحنان المباغت الشبيه بهجرٍ شديد، وانتزع غطاء الكيس الذي تَغطى به ذلك المخلوق الرطب المتباكي.

كل مرة أكثر سرعة، تقريباً كما لو كان يركض، مبتعداً عن الـ «يا يا يا» بصرخات بكائه، واختفى في الظلام.

إيزابيل ألليندي

«تشيلي»

تعتبر إيزابيل ألليندي المولودة في ليما عام 1942 واحدة من أحدث الكتّاب في أميركا اللاتينية، وآخرهم في جيل الواقعية السحرية. تعيش في كاليفورنيا بعد خروجها من بلدها إثر انقلاب عام 1973 . بدأت حياتها الأدبية عام 1983 عبر روايتها الشهيرة: «بيت الأرواح» ثم تتالت أعمالها الأخرى:

«الحب والظلال»، «إيفالونا»، «الخطة اللانهائية». والسيرة الذاتية «باولا». كذلك كتبت مجموعة قصصية واحدة بعنوان: «حكايات إيفالونا» متأثرة بالنمط الحكائي لألف ليلة وليلة، الذي تصفه بالكتاب المدهش. تحولت رواياتها «بيت الأرواح»، و«الحب والظلال» إلى فيلمين سينمائيين.

نزيل المعلمة

دخلت المعلمة إينيس إلى «درة الشرق»، حينما لم يكن قد دخله أي زبون، وتوجهت إلى الطاولة حيث كان رياض حلبي يطوي قماشاً مزهراً بألوان متعددة، معلنة بأنها قد انتهت للتو من جز رقبة أحد نزلاء فندقها. أخرج التاجر منديله الأبيض وغطى به فمه.

ـ ماذا تقولين، إينيس؟

ـ ماسمعت أيها التركي.

ـ ومات؟

ـ بالتأكيد.

ـ وماذا ستفعلين الآن؟

ـ لهذا جئت أسألك ـ قالت مُزيحة قُذالة شعرها.

ـ الأفضل أن أغلق المتجر ـ تنهد رياض حلبي.

كانا يعرفان بعضهما منذ زمن، حتى أن أياً منهما لايستطيع تذكر عدد السنين، رغم أن كليهما احتفظت ذاكرته بكل تفاصيل اليوم الأول الذي بدأت فيه صداقتهما. وقتها كان هو واحداً من أولئك الباعة الذين يجوبون الطُرقات عارضاً بضاعته، كواحد من حجاج التجارة، دون بوصلة ولااتجاه محدد. مهاجر عربي بجواز سفر تركي مزيف، وحيد، متعب، بشفة أرنب مشرومة، ورغبة لاتُقاوم للجلوس في مكان ظليل. وهي كانت في ذلك الوقت امرأة شابة،

بردفين متينين وكتفين عريضين، المعلمة الوحيدة في الضيعة، أم لصبي في الثانية عشرة من عمره جاء ثمرة حب عابر.

كان الابن، بؤرة حياة المعلمة، تعتني به بتصميم لاينثني. وحتى ينال مايريد كانت تتغاضى عن ميلها لتدليله، فتستخدم معه القواعد ذاتها في تأديب بقية أولاد المدرسة، حتى لايجرؤ أحدهم يوماً بالتعليق على تدليلها له، ولكي تُلغي فيه بذرة تمرده المكتسبة من أبيه حتى تكوّنه باتجاه معاكس: فتى بذهنٍ صافٍ وقلب حنون.

المساء ذاته الذي دخل فيه رياض حلبي أغواسانتا(*) من إحدى جهاتها، كانت مجموعة من الصبية في الجانب الآخر، يحملون جثة ابن المعلمة إينيس على نقّالة. كان قد دخل في أرضٍ ممنوعة ليلتقط ثمرة مانجا، فأطلق عليه صاحب الأرض، الغريب عن الضيعة وغير المعروف في الجوار، رصاصة من بندقيته ليخيفه، إلا أنها وسمت منتصف جبهته بدائرة سوداء حيث هربت منها حياته. في هذه اللحظة اكتشف التاجر حسه القيادي، ودون أن يعرف كيف، وجد نفسه في قلب الحدث: معزياً الأم، منظماً المأتم كما لو أنه واحد من العائلة، ومخضعاً الناس لطاعته ليحول دون افتراسهم للجاني. في غضون ذلك أدرك القاتل صعوبة المحافظة على حياته طالما بقي هناك فهرب من القرية المتحفزة على ألّا يعود إليها بتاتاً.

في اليوم التالي تقدم رياض حلبي على رأس الجمع المغادر للمقبرة حتى المكان الذي سقط فيه الصبي. أمضى جميع أهالي أغواسانتا جل وقتهم في جمع ثمار المانجا، قاذفين بها من النوافذ حتى امتلأ البيت تماماً، من الأرضية حتى السقف. في أسابيع قليلة أنضجت الشمس الثمار، متفجرة عن عصير كثيف لطّخ الجدران بدم ذهبي، وصديد حلو حوّل المنزل إلى حفرية بمقاسات ماقبل التاريخ، حيوان عظيم في طور التحجر، مُزيداً في عذابه النشاط اللامحدود لليرقات وذباب التفسخ!

(*) أغواسانتا: الضيعة، معناها الماء المقدس.

كان موت الصبي، هو الدور المرسوم لأيامه والترحيب الذي لقيه في أغواسانتا، مما جعل رياض حلبي يستقر فيها. ترك عربته المتجولة وبقي في الضيعة. وهناك بنى متجره «درة الشرق»، وتزوج ثم ترمل وتزوج ثانية مواصلاً تجارته بينما كانت مكانته تتعاظم كرجل مستقيم.

وبدورها ثقّفت إينيس أجيالاً عديدة من الأطفال بالعاطفة العنيدة نفسها التي منحتها لابنها حتى غلبها التعب، حينذاك تنحّت عن الطريق وأفسحت المجال لمعلمات أخريات قادمات من المدينة بمناهج جديدة وفضلت التقاعد. حين هجرت قاعات الدرس شعرت بالشيخوخة فجأة، وبأن الزمن يمضي بها، والأيام تجري بسرعة عجيبة دون أن تستطيع التذكر في أي شيء قضت ساعاتها.

ـ أسيرُ ذاهلة، أيها التركي. أمضي إلى الموت دون أن أُدرك ذلك ـ قالت مُعلّقة.

ـ أنتِ دوماً بصحة جيدة، إينيس. ولكن مايحصل أنك ضجرة، لم تُخلقي لتكوني كسولة ـ ردّ رياض حلبي. واقترح عليها فكرة ضم بعض الغُرف إلى بيتها وتحويله إلى فندق صغير.

ـ في هذه الضيعة لايوجد فندق.

ـ ولايوجد سيّاح كذلك ـ تعللت هي.

ـ سرير نظيف وإفطار ساخن هما نعمة لأي مسافر عابر.

وهذا ماكان. في البدء كان سائقو شاحنات شركة النفط يمضون الليل في الفندق عندما يملأ التعب ورتابة الطريقة رؤوسهم بالهذيانات.

كانت المعلمة إينيس السيدة الأكثر احتراماً في أغواسانتا. فقد درّست جميع أطفال الضيعة خلال عقود مختلفة، وهذا الأمر منحها سلطة التدخل في حياة كل واحد منهم، وسحبه من أذنه حين يستدعي الأمر. الفتيات يعرضن الخطيب كي تختبره، والزوجات يتشاورن

معها في خصوماتهن. كانت مستشارهم، حَكَماً بينهم، وقاضياً في كل النزاعات، حتى أن سلطتها أكثر رسوخاً من القس والطبيب أو من الشرطة. ليس هناك شيء يحد من أداء سلطتها. في إحدى المناسبات اقتحمت قسم الشرطة، مرت من أمام الضابط دون أن تحييه، وأخذت المفاتيح المعلقة في مسمار على الحائط وأخرجت من الزنزانة واحداً من تلامذتها الذي سجن لإفراطه في الشرب. حاول الضابط منعها، لكنها دفعته واصطحبت الفتى ماسكة إياه من ياقة قميصه. في الشارع سددت له لطمتين وأعلنت له أنها في المرة القادمة ستنزل له بنطلونه وتسوطه لدرجة لاينساها بعد ذلك. في اليوم الذي أعلنت فيه إينيس أنها قد قتلت أحد النزلاء، لم يكن رياض حلبي في شك من أنها تتكلم بجدية، ذلك أنه يعرفها جيداً. بل تناول ذراعها ومضى معها مجتازاً صفي المنازل اللذين يفصلان «درة الشرق» عن بيتها. كان واحداً من أفضل أبنية الضيعة، مبني بالآجر والخشب، بفناء واسع حيث تُعلق شبكات النوم في القيلولات الأكثر سخونة، حمامات بمياه جارية ومنافذ للتهوية في جميع الغرف. في تلك الساعة بدا فارغاً، لم يكن هناك سوى واحد من النزلاء في الصالة، يشرب البيرة ونظراته ضائعة مع شاشة التلفزيون.

ـ أين هو؟ ـ همس التاجر العربي.

ـ في واحدة من الغرف الخلفية ـ أجابت هي دون أن تخفض صوتها.

قادته باتجاه غرف الإيجار، التي يوحّدها مضمار مسقوف، تتدلى من روافده أصص السراخس، وإلى جوارها فناء تنمو فيه أشجار الزعرور والموز. فتحت إينيس الباب الأخير ودخل رياض حلبي الغرفة المعتمة. كانت ستائر النافذة حتى ذلك الحين مُسدلة واحتاج إلى لحظات كي تعتاد عيناه وتريان جسد العجوز بهيئته البريئة ممدداً فوق السرير. شيخ غريب، هرم يسبحُ في بركة موته، وبنطاله ملطخ بالبراز. الرأس مشنوقة بِسير جلدي أزرق، تطفو على وجهه تعابير حزن مرعبة. كما لو أنه يطلب العذر بسبب الهيجان

والدماء، وبسبب المتاهة الرهيبة التي خلقها بموته.

جلس رياض حلبي على مقعد الغرفة الوحيد، ونظراته مصوبة إلى الأرض، محاولاً السيطرة على غثيان معدته. بقيت إينيس واقفة، ذراعاها متشابكتان على صدرها، مفكرة بأنها ستحتاج إلى يومين لغسل اللطخات، وعلى الأقل يومين آخرين لتهويتها من رائحة البراز والذعر.

ـ كيف فعلتِ ذلك؟ ـ سأل رياض حلبي في النهاية وهو يجفف عرقه.

ـ بسكين بَقْر جوز الهند. أتيته من الخلف، وعالجته بضربة واحدة فقط. دون أن يشعر بي، ياللشيطان المسكين.

ـ ولماذا؟

ـ كان لابد من ذلك. هكذا هي الحياة. انظر أي فأل سيء، هذا العجوز لم يُفكر بأنه سيتوقف في أغواساننتا، كان ماراً بالقرية حين حطم حجر زجاج عربته. وأتى لتمضية بضع ساعات ريثما يستبدلها الإيطالي صاحب المرآب بأخرى صالحة. لقد تغير كثيراً، شاخ على مايبدو، ولكني عرفته حالما رأيته. لقد انتظرته سنين طويلة، متأكدة من أنه سيأتي، عاجلاً أم آجلاً. إنه الرجل مالك المانجا.

ـ فليغفر الله لنا ـ دمدمَ رياض حلبي.

ـ هل ترى أن نخبر ضابط الشرطة؟

ـ لن يخطر على بالك مطلقاً.

ـ الحق معي، لقد قتل ابني.

ـ لن يفهم الضابط ذلك ياإينيس.

ـ العين بالعين والسن بالسن، أيها التركي. ألم يقل دينك ذلك؟

ـ ولكن القانون لايعمل بهذه الطريقة يا إينيس.

ـ حسناً إذاً، يمكننا ترتيبه قليلاً ونقول بأنه انتحر.

ـ لاتلمسيه. كم نزيلاً يوجد في البيت؟

ـ سائق شاحنة وحسب. سيمضي حالما يتعشى، ينوي الوصول إلى العاصمة.

ـ حسناً. لاتستقبلي أحداً. أغلقي بالمفتاح باب هذه الغرفة، وانتظريني، سأعود ليلاً.

ـ ماذا ستفعل؟

ـ سأرتب الأمر على طريقتي.

كان رياض حلبي في الخامسة والستين من عمره، لكنه حتى تلك اللحظة مازال محتفظاً بنشاط شاب وبالروح ذاتها التي سيطر فيها على أغلبية الناس في اليوم الذي وصل فيه أغواسانتا. خرج من بيت المعلمة إينيس، ومضى بخطوات عجلى إلى أولى الزيارات التي عليه الانتهاء منها هذا المساء. في الساعات التالية كان هناك همس مستمر يدور في القرية، أولئك المستوطنون نفضوا سبات السنين، مستثارين بأكثر الأخبار خيالاً. راحوا يرددون من بيت لآخر تلك الإشاعة التي لاتُكظم، خبر يندفع للظهور بالصراخ، بالحاجة ذاتها التي يحتفظون بها همساً لمنحها قيمة خاصة. قبل مغيب الشمس كان شعور بفرح خفي يمضي مع الهواء، إذ أنه سيكون في السنين القادمة من مزايا الضيعة. ذلك الذي لن يدركه عابرو السبيل، عندما لايرون في هذا المكان شيئاً خارقاً، وإنما قرية بائسة مثل غيرها عند حافة الغابة.

في وقت مبكر بدأ الرجال بالتوافد إلى الحانة، وأخرجت النساء كراسي المطبخ إلى الرصيف ليستنشقن الهواء، وتجمهر الشباب في الساحة، وكأنه يوم الأحد. وقام الضابط ورجاله بدورتين روتينيتين، وفيما بعد قَبِلوا دعوة فتيات المبغى اللواتي يحتفلن بعيد ميلاد إحداهن، كما قُلن لهم.

عند العشية كان هناك جمع غفير من الناس في الشارع كما لو أنه يوم جميع القديسين، وكل واحد منهم منشغل بنشاطه باهتمام ملحوظ كأنه يشارك في أحد الأفلام. كان البعض يلعب الدومينو،

وآخرون يشربون الرون ويدخنون على نواصي الطرقات، بعض الأزواج يتمشون متشابكي الأيدي، والأمهات يطاردن أبناءهن، والجدات يتسقطن الأخبار من خلال الأبواب المواربة.

أنار القس مصابيح الأبرشية، وبدأ بدق النواقيس داعياً لصلاة الذكرى التسعين للقديس سان أيسيدرو الشهيد، لكن لاأحد منهم شعر برغبة لهذا النوع من التعبد. في التاسعة والنصف اجتمعوا في بيت المعلمة إينيس، جاء العربي برفقة طبيب القرية وأربعة شبان. كانت المعلمة إينيس قد علمتهم منذ الحروف الأولى، وقد أصبحوا ضخاماً بعد إنهائهم الخدمة العسكرية. قادهم رياض حلبي إلى الغرفة الأخيرة، حيث وجدوا الجثة وقد غطتها الحشرات ذلك أنهم تركوا النافذة مُشرعة، وقد كانت ساعة قيام الناموس. حشروا البائس في عبوة من القماش ثم أخرجوه بحذر حتى الشارع وألقوا به دون احتفالية في الجزء الخلفي لشاحنة رياض حلبي. اجتازوا الضيعة كلها عبر شارعها الرئيسي، مُحيين الآخرين كأنهم يفعلون ذلك عادة لمن يقابلهم في الشارع. ردَّ البعض على تحيتهم بحماس مفرط، بينما تظاهر آخرون بعدم الرؤية، ضاحكين في سرهم مثل أطفال مندهشين لهذه الدعابة. توجهت الشاحنة إلى المكان نفسه حين انحنى قبل سنين وللمرة الأخيرة ابن المعلمة إينيس لالتقاط الفاكهة. تحت نور القمر رأوا البستان المنسي بسبب اقتحام الأعشاب الشيطانية له بعد أن أفسده الهجر والذكريات السيئة. تل متشابك لنمو المانجا البرية، لقد تساقطت الفاكهة من أغصانها واندثرت في الأرض لتفسح المجال لأخريات بدل المتساقطة.

وهكذا تنشأ غابة لاتخترقها الحجب، مبتلعة السياج بشراهة من الطريق وحتى أطلال البيت، ولم يبق حينذاك سوى أثر طفيف من رائحة المربى.

أشعل الرجال مصابيح الكيروسين ومضوا داخل الغابة، شاقِّين طريقهم بضربات فؤوسهم، وعندما قرروا أنهم قد توغلوا بما فيه الكفاية، أشار أحدهم إلى بقعة أرض في جوار جذور شجرة عملاقة

مُثقلة بالفاكهة. حفروا قبراً عميقاً حيث أودعوا العبوّة. وقبل أن يردموه بالتراب دمدمَ رياض حلبي بصلاة إسلامية قصيرة لأنه لم يكن يعرف غيرها. عادوا إلى القرية في منتصف الليل ورأوا ألّا أحد قد انسحب، كانت الأنوار ماتزال مُضاءة من كل النوافذ والناس تجوب الشوارع.

في تلك الأثناء كانت المعلمة إينيس قد غسلت بالماء والصابون جدران وأثاث الغرفة، وأحرقت غطاء السرير وعملت على تهوية البيت، وجلست في انتظار أصدقائها مع وجبة عشاء جاهزة وجرّة من الرون الممزوج بعصير الآناناس. قضوا وقت الطعام بارتياح مُعلقين على آخر مصارعات الديكة، تلك الرياضة الوحشية كما تصفها المعلمة إينيس، وإن ادَّعى الرجال أنها أقل وحشية من مصارعة الثيران الذي فقد فيها مصارع كولومبي كبده.

كان رياض حلبي آخر من غادر. هذه الليلة، وللمرة الأولى في حياته، شعر بأنه قد شاخ. أمام الباب تناولت إينيس يديه وتركتهما للحظات بين يديها.

- شكراً أيها التركي - قالت له.

- لماذا أنا بالذات مَنْ طلبتِ منه ذلك يا إينيس.

- لأنك الشخص الوحيد في هذا العالم الذي أحبه، ولأنه كان يجب أن تكون أباً لابني.

في اليوم التالي غادر سكان أغواسانتا إلى أعمالهم الدائمة، مادحين من اشترك في الجريمة المدهشة، والتي بقيت سراً بين الجيران الطيبين، محتفظين به بغيرة كبيرة، متداولاً بينهم الواحد بعد الآخر على مرّ السنين بوصفه أسطورة عدالة. حتى دنا يوم المعلمة إينيس الأخير حيث حرّرنا جميعاً، وها أنا أستطيع أن أحكي هذه القصة.

فيكتور كاثاريس لارا

«الهندوراس»

ولد فيكتور لارا في الهندوراس عام 1915 . وشغل مناصب متعددة منها معلم، صحافي، دبلوماسي، سياسي. كتابه الأول بعنوان «أرض 1952» يُعتبر من أفضل المجموعات القصصية في بلده لذلك العقد، وعبر هذه المجموعة يرسم حياة الفلاحين وعمال المدينة.

في العام 1970 جُمع نتاجه القصصي ونُشر في مجلد واحد بعنوان: «الأرض المتوقدة». شغل منصب وزير ثقافة في بلده.

الحريق

اشتغلوا بقسوة طوال فصل الصيف في تلك المساحة من الأرض. كانت عبارة عن تنورة جبلية منتصبة تحوي الكثير من الخشب. حطمَ فيها ثلاثة معاول وحسب وهو يضرب في كتلة من الحجر الكلسي المليئة بالقرون وكعوب أرجل الوعول. كانت موسيقى السواطير ترن وهي ترتد قاطعة الأغصان الصغيرة، والفؤوس تمر مقطّعة الجذوع الكبيرة المتساقطة، مخلفة ضوضاء متألمة للأنسجة المتمزقة، والتي تنثني منحدرة إلى الأسفل، بينما أفواه الرجال تُنشد قائلة:

ـ شجرة يا يا، شجرة يا يا.

كان عمله قاسياً. هو واحد من أولئك العمال المياومين الذين يقبضون أجرهم ريالاً ونصف مع وجبة غداء، لكنه يشعر بحب شديد للأرض. لتلك الغابة الشاسعة. للمزارع المحروثة. للبذور التي يُطعمها الثقوب المحروثة بمحاريث حديدية. للسيقان النابتة. للعرانيس المنزوعة في مخازنها. لم يكن يعمل في حقله الخاص لأنه ليس لديه أرض. الخُمس الذي يقبضه سماسرة العمل كان مرتفعاً، وربما أكثر نفعاً لشراء الحبوب لامرأته وأولاده، وسيحظى هو بلحم خنزير مفروم بفضل عمله بفأسه وذراعه.

ابتدؤوا الحرث منذ شباط. خمسة عمال مع سيدهم، كان ذلك

يعمل معهم بهمة واندفاع. كان العملُ قاسياً، ولكن الطعام بدا جيداً، وكل يوم يمضي عليهم يشعرون بتشجيع أكبر.

ـ غداً نصل حتى شريط التنورة الأول! ـ قال صاحب العمل.

وهكذا عملوا، عملوا بقسوة. مجددين نشاطهم. لم يكن يهمهم غزارة تعرقهم، ولم يتوقفوا في الوقت المحدد. في المساء وصلوا إلى إتمام شريط التنورة، وتأملوها تتوسع أمام نظراتهم، الحقل الذي كان يشكل ذراعاً مشطوراً قد توسع في الغابة. اليوم التالي أتت منْ أسفله لطخة من البلوط الأصفر. يوم آخر حول لحاء شجرة موغوتي يرتفع النمل الأسود مثل الفقاعة. وهكذا من تأثير لآخر. خطوة وأخرى. حتى الختام.

آه يالعبير نباتات الجبل المقطوعة تواً! أشجار البلوط تتضوع بطريقة ما، ولشجر الشمشيس(*) عطر مختلف. نباتات نانسي(*)، الحلوة الشذية. لكن ياالله على أشجار الصنوبر..! أي عطر لأشجار البلوط، تتضوع كأنها قلبُ مياوم هندوراسي! كم يؤلمني قطعها! لكن ليس هناك خيار آخر. إذا لم تُقطع لن تكون هناك عرانيس ذرة. البركات المعطرة للغابة المقطوعة تجتاح الشرايين. تُقوي الدماء وتزيد الجهد. كان منظماً ولم يخفق لمرة واحدة. ستهبه زوجته صبياً بعد تسعة أشهر من حرث الأرض. كان العمل رشيقاً. الأريج الغني للغابة المقطوعة. حفيف السنابل اللطيف وهي ترتفع بعد ذلك في الأخاديد المبذورة بأيادي المياومين الخشنة.

انتهى وقت البذار. حول ورق الشجر الضاج سابقاً، تركت الشمس الآن لأشعتها المعذبة الهائجة أن تسقط. كانت الأغصان تطقطق. الأوراق تُخشخش. والديدان الصغيرة شحذت نحيبها غير المنقطع شيكي ـ رين، شيكي ـ رين.. ريسيين!

صنع المياومون حفرة في الأرض لكي توقد فيها النار

(*) أسماء النباتات المحلية وضعت بلفظها لعدم وجود مقارب لغوي عربي.

ولتفادي انتقالها إلى أقرب الجيران، حارقة النباتات الشوكية.

في سبت المجد أضرموا النيران، وكان بالنسبة له احتفالاً مؤثراً. للحظات شعر بحزن لرؤية هذه النيران تلتهمُ الجذوع والأغصان. شعر بأنشوطة من البهجة عندما شاهد حيوانات مختفية تخرج إثر ألسنة النيران الهائجة. ذُهل وهو يتأمل الدوّارة المفرقعة لألسنة اللهب المتوهجة، قارضة، حارقة، مطقطقة، تاركة الأرض جاهزة للزرع. طلبة الجامعة ذكروا أن الحرق سيء للأرض، ولكن ماذا سيفعلون إذا لم تُحرق؟

سبت المجد توجهوا جميعهم إلى القداس. كانوا في العادة يحملون الماء المقدس، والنار المقدسة، في ذلك اليوم الذي يُخصصه الخوري لعدة أغانٍ وصلوات وتراتيل. يتجهون فيما بعد إلى الحقل ليحرقوا ماتبقى خلال ساعات المساء الأولى. كان يوماً يحملُ نُذرهُ. الريح الشمالية تصفر والحرارة ترتفع في اللحظة ذاتها التي توقف فيها النصراني في الظل.

حوالى الساعة الثالثة هدأت الريح، ومنحت بداية مُشجعة للبدء. أمر السيد أن تُضرم النيران من جهة الشمال، حتى تحمل الريح النيران باتجاه الجنوب. في المقدمة كانت مجموعة من المياومين يعالجون نيراناً امتدت حتى الأراضي المجاورة لإطفائها. بدا مشهداً هائلاً. فكرَ أنها لابدَ أن تكون نيران الجحيم، إذا كان هناك جحيم للفقراء. شوى الحرّ وجنتيه. وأحرق تقريباً شعر صدره الخشن. لكنه لم يشعر بألم. كان منفعلاً بانذهال. ثابتاً في موقعه. مُصغياً لطقطقة الخشب، متأملاً دخان الجمرات الأسود التي تقرص مثل الغُطاب.

ـ آخ، لقد احترقت الخشبة. لقد احترقت فأسي التي تساوي 2 بيسوس(*). عليك أن تدفعها لي، عليك أن تدفعها لي!

(*) بيسوس: عملة الهندوراس.

فجأة لم نشعر بما حدث. إذ لم يستطع الحاجز الحامي أن يحصرها في الوقت المناسب. انتشر اللهب ووجد نفسه محاصراً بدائرة من النار. حاول الهرب، لكن النيران كانت قد شوته. صعدت فيه من القدمين. لحست له صدره. تركته فحماً. وفيما بعد تحوّل إلى رماد. أهكذا تكون نار الجحيم، إذا كان هناك جحيم للفقراء!

صرخ خوليان، صرخ. لكن صراخه صنع خيطاً صوتياً ممتزجاً بطقطقة اللهيب. استغاث بإله المعجزات. تضرع للعذراء مرثيدس. خلع رداءه بحركة يائسة. ركع على ركبتيه صارخاً، وأغمض عينيه المرعوبتين. لكنه شعر فجأة بإحساس لطيف من البرودة. رأى سيقان الذرة الخضراء ترتفع، وسمع صراخ الصيادين المُفزع للعصافير. ومرت من أمامه رؤيا السنابل برؤوسها الشقراء. ورآها محملة بعرانيس الذرة. تأمل المحصول مكدساً في عنبر الغلال، حينذاك بكى، بكى متأثراً.

ـ لايوجد جحيم للفقراء... لايوجد جحيم للفقراء!

خوسيه لويس غونثاليث

«بويرتوريكو»

ولد في سانتو دومنغو عام 1926 ، لكنه انتقل إلى بويرتوريكو وله من العمر 14 عاماً. في بلده الجديد درس العلوم السياسية، وفي نيويورك درس دراسات عليا، وفي المكسيك حصل على الماجستير في الآداب.

أصدر الكتب التالية: «في الظل» خمس قصص دموية، «الرجل في الشارع»، «في هذا الجانب» (وجميعها قصص قصيرة)، وله رواية وحيدة هي «بايسا» Paisa. كما أصدر كتاب «تاريخ الأدب في بويرتوريكو». رغم ذلك فقد حصل على الشهرة في مجال القصة القصيرة التي تناول في أغلبها إشكالية الإنسان المهمش في بلده، ووصل بها إلى درجة من العمق الإنساني المميز لنتاجه وسط الكم الهائل من قصاصي القارة. قصّتنا المختارة نموذج لإبداعه.

في عمق العوامة يوجد زنجي

1

المرة الأولى التي رأى فيها الزنجي الصغير ميلوديا الزنجي الآخر في عمق العوامة، كان صباح اليوم الثالث أو الرابع بعد انتقالهم. وصل زاحفاً حتى البوابة الوحيدة للمسكن الجديد. أطل برأسه لينظر سطح الماء الهادئ، هناك في الأسفل. حينذاك استيقظ الأب. نهض من فوق جبل الأكياس الفارغة، المنتشرة في البيت، كان متمدداً إلى جوار امرأته نصف العارية والتي ماتزال نائمة حتى الآن، صرخ بها:

- انظري، هيناك تحت، هيناك، الصبي يبدو عليه الخوف.

وبالرغم من أن ميلوديا لم يفهم الكلام بعد، إلا أنه قد أذعن لصراخ أبيه. زحف مرة أخرى حتى الداخل، وبقي صامتاً في إحدى الزوايا، ماصاً إصبعه لأنه كان جائعاً.

اتكأ الرجل على مرفقيه. نظرَ إلى المرآة النائمة جواره وهزها بذراعه بهدوء. نهضت المرأة قافزة وهي تنظر للرجل بذعر. ضحك الرجل. كل الصباحات متشابهة: تنهض المرأة من نومها بتلك التعابير المرعبة، والتي تستثير ضحكه دون سوء نية. المرة الأولى التي رأى فيها ذلك التعبير على وجه امرأته لم يكن إثر نهوضها من

النوم، إنما ليلة اضطجعا جنب بعضهما للمرة الأولى. لهذا يُضحكه أن تنهض هكذا كل صباح.

جلس الرجل فوق الأكياس الفارغة.

ـ حسناً ـ محدثاً المرأة ـ جهزي القوة.

تأخرت قليلاً في الإجابة: لم يبق منها شيء.

ـ كيف؟

ـ لم يبق شيء. لقد نفدت البارحة.

ـ ولماذا لم تشتري حتى الآن؟ ـ ابتدأ هو القول.

ولكنه قطع كلامه حين شاهد ملامح وجه امرأته تتلون بذلك التعبير الآخر، اعوجاج الفم الذي لايُشكل بالنسبة له أي سرور، يرتسم على وجهها عندما يوجه لها أسئلة مثل التي طرحها الآن. أول مرة رأى فيها ذلك التعبير على وجه امرأته كان ليلة عودته سكراناً وراغباً في مطارحتها الغرام ولكن السكر لم يدعه يفعل شيئاً. ربما لهذا لايسره اعوجاج الفم ذاك.

ـ لم نعد البارحة؟

ـ خ خ خ خ خ.

وقفت المرأة على قدميها وبدأت بارتداء ثوبها من الرأس. كان مايزال منطرحاً فوق الأكياس الفارغة، انهزمت نظراته وتركزت للحظة في ثقوب ثوبها.

كان ميلوديا تعباً من مص إصبعه، وقد قرر البكاء. نظر الرجل نحوه وسأل المرأة:

ـ ألا يوجد شيء ما للطفل؟

ـ أجل. لقد حصلت على أوراق غوانابا(*)، سأصنع له شراب غوارابيو(*) حالاً.

ـ كم يوم مرّ دون أن يتناول حليباً؟

(*) أسماء أوراق أعشاب تُستخدم شراباً وعلاجاً.

ـ حليب ـ أظهرت المرأة دهشة تعجب لاشعورية في صوتها ـ لاأتذكر!

نهض الرجل وارتدى بنطاله، اقترب بعد ذلك من البوابة واتجه بنظره إلى الخارج. قال لامرأته:

ـ الموج مرتفع جداً. ولابدّ من خروجي في القارب اليوم.

بعد ذلك نظر إلى فوق، نحو الجسر والطريق. كانت هناك سيارات، باصات، شاحنات تمضي في تظاهرة متواصلة. راقب الرجل أن من بين المركبات واحداً وحسب ينظر باحتقار ناحية الكوخ المزروع في المنتصف من ذراع البحر. كانت العوامة هناك في تلك الضاحية، التي نَمَت منذ سنين عند أطرافه المستنقعية. لقد غطت الطحالب المتنامية أطراف العوامة المحاطة بالمياه. كان واحداً على وجه العموم قد بدأ بالنظر إلى الكوخ عندما مرت العجلة، الباص، والشاحنة ووصلت منتصف الجسر. بعد حين عاود النظر، مديراً رأسه حتى اجتازت العجلة، الباص أو المركبة، المنعطف، متجهة إلى الأمام حتى فقد رؤيتها. طوّح بذراعه، ملوحاً بها بين قدميه وغمغم:

ـ ياللملاعين!

بعد حين قفز إلى القارب وجدف حتى الضفة. من مؤخرة القارب حتى بوابة البيت، كان هناك حبل طويل يسمح لمن بقي في البيت بسحب القارب من جديد حتى البوابة. من البيت إلى الضفة كان هناك جسر صغير من الألواح غطته موجة عالية. أخيراً وصل الرجل إلى اليابسة، توجه نحو الطريق العام. شعر بارتياح عندما خنق ضجيج المركبات نشيج بكاء الزنجي الصغير في الكوخ.

2

المرة الثانية التي رأى فيها الزنجيُ الصغير ميلوديا الزنجي الآخر في عمق العوامة، كان الوقت منتصف النهار بقليل، حين عاود

الزحف حتى البوابة، وأطل برأسه ناظراً إلى الأسفل. هذه المرة كان الزنجي القابع في عمق العوامة قد أهدى ميلوديا ابتسامة. بدأ ميلوديا الضحك أولاً، واستقبل ابتسامة الزنجي الآخر كجواب على ابتسامته. حينذاك أشار بيده. لم يستطع ميلوديا كبت ضحكه، وتهيأ له أن صوت الضحكة الأخرى يصله من تحت، هناك. نادته الأم لأن شراب الغوانابا الثاني قد جهز.

امرأتان من المحظوظات، اللواتي عشن على أرض ثابتة، عند أطراف العوامة حيث الأرض الطينية راكزة، علّقن:

ـ لابُدّ من رؤيته. لو حدثوني بذلك، لقلتُ إنهم يكذبون!

ـ الحال ياسيدتي، مَنْ كان يقول بأنني أنا نفسي سأصل إلى هنا... وسيكون لي أرض.

ـ حسناً لقد كنا من الأوائل. تقريباً لم يكن هناك بشر، وأحدهم قد سكن الجانب الأكثر جفافاً، هل ترين؟ لكن الذين يصلون الآن، انظري، عليهم أن يرموا بأنفسهم إلى الماء. ولكن لمِن تقولين. لكن، حسناً... وهؤلاء الناس. من أين أتوا؟

ـ لقد قالوا لي بأنه هناك في الجزيرة الخضراء، الأكثر تحضراً، قد طردوا العديد من الزنوج الذين جدفوا حتى هنا. ربما كانوا منهم.

ـ فلتُبارك! هل شاهدت الزنجي الصغير كم هو جميل؟ لقد جاءت المرأة البارحة تسألني ما إذا كان لدي بعض الأوراق لصنع الشراب. وقد أعطيتها القليل مما لدي من الغوانابا.

ـ ياللعذراء، بركاتك...!

مساءً، كان الرجل مُتعباً... لقد آلمه ظهره، لكنه جاء متلمساً النقود في داخل جيبه، محدثاً الرنين، ومخمناً باللمس أيها من فئة بيون، وأيها ذات العشرة، وأيها البيزيتا(*). حسناً، اليوم كان

(*) أسماء العملة المعدنية في بويرتوريكو.

محظوظاً. فقد قَدِم الرجل الأبيض إلى المرسى ليستلم بضاعته القادمة من نيويورك. وزميل عمله أقرضه عربته المساء كله لأنه كان بحاجة للخروج مسرعاً، بحثاً عن قابلة لزوجته، التي كانت على وشك طرح فقير آخر إلى العالم. أجل، سيدي. الأمور تتسهل. غداً سيكون يوماً آخر.

دخل أحد المتاجر العامرة، واشترى بُناً وأرزاً وفاصولياء وعلباً من الحليب السائل. فكر بميلوديا واستعجل خطاه. كان قد جاء من سان خوان لكي يوفر خمسة السنتافو ثمن الرحلة.

3

المرة الثالثة التي رأى فيها الزنجيُ الصغير ميلوديا الزنجيَ الآخر في عمق العوامة كان مساءً، قبل قليل من عودة الأب. هذه المرة جاء ميلوديا مبتسماً قبل أن يطل برأسه، ورأى أن الآخر كذلك يبتسم هناك تحت. عاد ليعمل هكذا بيده وأجابه الآخر. حينذاك شعر ميلوديا بحماس مفاجئ وحُب لايوصف لذلك الزنجي الآخر. فمضى ليبحث عنه.

آنريكه شويت

«بنما»

ولد عام 1934 . شاعر وقاص حاز تقديراً خاصاً في جيله الذي ينتمي إليه (جيل الستينات). أستاذ في الفلسفة والتاريخ، وحاز على جائزة التقدير الخاص عن روايته «العطلات» 1973 في مسابقة قصة أميركا الوسطى، وطُبعت في الأورغواي. له مجموعتان قصصيتان هما: «قبري على ذراعي» 1964 ، «أعشار» 1965 ، في هذه القصة المختارة «وداعاً أورسولا» يتضح الخط المشترك في أغلب نتاج القارة.

وداعاً أورسولا

ماتت أورسولا ليلاً. ماتت دون أي تحذير، ودون أن تثير ضجة، حتى أنها لم توقظ الآخرين. لم تشأ توديع الصغار النيام في الحوش، ولا الجد المستلقي عند الباب منذ أن مات كلب الدار.

كان الجد وبجانبه غليونه مضطجعاً مثل بهيمة، ينبح على السكارى الساهرين، وينبح على الشرطة التي تحرس منعطفات شوارع البيوت الخشبية. منذ أيام وفي هذا الجانب من الدار، أنّت أورسولا متوجعة من ثقل في صدرها دون أن نمنحها أقل انتباه. كنا معتادين على ذلك. كان عليها أن تنتظر تناول شاي حشيشة الهر وحسب (سيُعينها بأثره). شاي حشيشة الهر سيعالجها خلال مدة طويلة، يقول «حسب خبرتي، إن شربته ساخناً كل ليلة قبل النوم، وأدت إشارة الصليب ثم صلت للرب الأعلى». وضعتُ لها بعد ذلك لبخات كحولية مع أوراق غواورومو جافة فوق الصدر وأخبرتها أن تتنفس بعمق، أقول ذلك لأورسولا، امرأتي والتي تظن أنها مريضة. من الأفضل أن يكون دلالاً، ولكني لاحظت بأنها أكثر حزناً كل يوم ونادراً ماتتحدث. ولكن لابد أن يقال بأن حزنها دائم تحمله معها منذ القِدم داخل هذه الرأس الصلبة، القاسية مثل عمود من الغوايابو. منتصف الليلة تقريباً، عندما ينبح الجد عادة على العاهرات اللواتي يمررن مع زبائنهن، أمسكتْ بيدي، وفكرتُ أنها حَرَكتها من أجل شيء آخر سيء. وقلتُ لها بأن تترك المصيبة الآن لأنني لستُ راغباً

بذلك، ففقرات ظهري تؤلمني. لكنها لم تجبني وأبقت يدها في محلها، هادئة، دون ثقل. بعد قليل سمعتها تشخر بغرابة. قلتُ لها هاقد عدت إلى مصيبتك ذاتها ولن تدعيني أخلدُ إلى النوم.

عندما كان الجد يبول في المبولة بدفقات صاخبة خشنة، سمعتها كما لو أنها تختنق، وارتأيت ألّا أُثيرها، لكن يدها الهادئة تشبثت بقوة في يدي. هكذا، وبيأس أحدٍ لارغبة له في المغادرة، ماضياً دون عون ولاحقائب إلى مكان غريب مع أناس آخرين.

«ماذا يحصل لك؟» سألتها دون رغبة. عندما لم أسمع إجابتها، نهضتُ، أزحت الغطاء ورأيت وجهها بعينين مفتوحتين تنظران إلى وجهة غير محددة. فمها مفتوح بوضع غريب. سقطت أسنانها الاصطناعية من لثتها العليا واستندت فوق شفتها السفلى كما لو ابتسمت دون رغبة من شيء أو أحد ما. رأيت كذلك فوق مخدتها، أسفل اتجاه العينين، بقعة رطبة. ناديتها: أورسولا؟ لم تجبني ولم تزجرني لمحاولتي إيقاظها. في الحال قَدِم الجد على أطرافه الأربعة مقترباً من السرير مثل كلب. نظر إليَّ بحزن، مزمجراً مثل جرو، لاعقاً يد أورسولا. حينذاك أدركت بأنها قد ذهبت، وأنها قد فرغت من وداعها الأخير.

بابلو أنطونيو كوادرا

«نيكاراغوا»

ولد في ماناغوا عام 1912 . واحد من طليعيّ الأدب النيكاراغوي. ابتدأ شاعراً وأصدر أول ديوان عام 1933 بعنوان «قصائد نيكاراغوية» نشر أوائل قصصه عام 1962 في مجلة «السمكة والأفعى» الأدبية. له مجموعة قصصية بعنوان «وجوه تبرز في الزحام» 1976 التي اخترنا منها هذه القصة، وقبلها في عام 1969 صدرت له المجموعة القصصية «آب». وله في المسرح: «في هذا الطريق يمضي الفلاحون» 1936 . يُعتبر رائد الحركة الطليعية ومابعد الطليعية في آداب بلاده.

اليوتوريو رَيال

تُرى كيف كانت ملامح اليوتوريو رَيال هذا؟

رأيته يمر مِن هنا مرات عديدة، من بوابة المعسكر، ولكن يبدو لي بأن كل هندي يمرُ الآن له ملامح اليوتوريو رَيال هذا؟

ـ عريف فلوريس. هل تتذكر اليوتوريو رَيال؟

لم يجبني العريف فلوريس. أنا سجين وممنوع من التفوّه بكلمة.

الضابط ستارسون هو قائد القوات المتمركزة هنا في ماتاغالبا. ما أن استلم القيادة حتى نشر بلاغاً على دقات الطبول: «على جميع المزارعين الداخلين إلى المدينة ترك سواطيرهم وخِرَجهم في المعسكر».

وكان المزارعون الداخلون إلى المدينة كل يوم يمرون إلى المعسكر ويحيوننا خالعين قبعاتهم، ثم يتركون السواطير والمتاع في الممر ويحصلون على ورقة كرتون مرقّمة.

ـ عريف فلوريس. لقد أدخلك الضابط السجن لأنك سألته أي شياطين تدفعه لإزعاج هؤلاء الهنود... الآن أنا مَنْ هو في السجن ألا تحدثني!

ينظر العريف فلوريس إلى الداخل، ولايجيبني. لابد أن الضباط ستارسون كان يتصرف كحيوان كاسر. لأنني أستمع من هنا إلى

الصراخ. في ظني أنه أتى على ذكر أمي بالإنجليزية. كم أنا محظوظ!.. أنا لاأعلم بالضبط مَنْ أخبر الضابط ستارسون أن اليوتوريو رَيال يعمل دليلاً لرعاة البقر. اعتاد اليوتوريو رَيال الوصول كل أسبوع. ينزل من الوادي حتى السوق. يمرُ بنا تاركاً متاعه وساطوره في المعسكر. وكنت أنا من أعطاه ورقة الكرتون المرقّمة.

ـ هيه، أنت ـ صرخ الضابط.

نزل ستارسون بقفزة واحدة إلى الشارع، وضربه بقوة.

ـ ألم أتحدث معك أم لا؟

اليوتوريو رَيال، أنت دليل رعاة بقر بايغوا («غير صحيح» قال الهندي). كان عليه أن يوصلهم. طلبوا منه قيادة دورية العسس لأنه يعلم جيداً الطرق الشتائية («غير صحيح» كرر الهندي). لكنه مضى معهم. أجبر على الذهاب وأضاع بهم الطريق، لكن ستارسون قال إنها خيانة، وإن الساندينستا قد اشترته. في الليل أوثقوه إلى إحدى الأشجار، وقال له:

«إما أن تتذكر الطريق أو تبقى حتى الفجر». وشهر مسدسه بوجهه. لكن في منتصف الليلة فك الحرس أو السحرة الحبل وغادر اليوتوريو رَيال. اختفى، متحولاً إلى دخان.

تأخر ستارسون ثلاثة أيام في الخروج من الجبل، ولكن قبل رجوعه إلى ماتاغالبا اتجه إلى كوخ اليوتوريو رَيال في جهة الوادي.

ـ كلا، كلا لم يرجع. ـ قالت امرأته.

ـ كلا ياسيدي. مرت أيام دون أن نحظى برؤيته ـ قالت الجدة.

فتشَ الكوخ، رافساً الكلاب الهزيلة وهي تنبح عليه. لم يجد اليوتوريو رَيال.

حينذاك أحرق الكوخ. ارتفع الصراخ، وجرت المرأتان لإنقاذ

الأمتعة. الأبناء، كيس الملح، حفنات الذرة، البقرة، الرضيع. وقعت الجدة فوق الجمر واحترقت. وبين الصراخ واللهيب، ظهرَ رجلان: ولدا اليوتوريو يتبعهما صهره. خرجوا من حقل الموز مكان اختبائهم. برزوا مدججين بسكاكينهم. أمرهم ستارسون أن يرموا أسلحتهم. استسلموا وأجهز عليهم بنفسه، واحداً بعد الآخر.

أيام قليلة فيما بعد انقطعت الاتصالات الهاتفية مع ماناغوا. دائماً يحدث ذلك في الشتاء. نسمع أصوات سباكو، داريو، لاس ماديراس.

«تعطلت الخطوط. لقد تعطلت». لكن ستارسون أمرَ براون وويللي ـ بحارين من جهاز الاتصالات ـ أن يمضيا لإصلاح الضرر وأمر بتشديد الحراسة في المعسكر.

تقدمَ براون وويللي وواصلا الاتصال:

ـ آلو، آلو. جيد، جيد.

ويبتعد صوتاهما عبر الخط. كان الخطر بعيداً.

البارحة، بكّر ستارسون في النهوض، جزعاً، يصرخ. في الثالثة صباحاً أمر أن تُقصف أحد المراكز المحددة. اجتمع مع رجاله الرسميين، وأرسل ثلاث دوريات سراً.

جميعنا يعلم أن شيئاً ما قد حدث ولكننا لم نجرؤ على السؤال. أمضى ستارسون جل وقته في مكتبه، منصتاً إلى الهاتف. كان يكفي النظر إليه حتى نعرف مدى عصبيته. كنا نسير على رؤوس أصابعنا. يقطع هدوء المعسكر تحيات الهنود، حيث يمضون تاركين خِرَجهم وسكاكينهم.

فجأة تغضن وجهه:

ـ نتِنون! ـ صرخ الضابط ستارسون ـ خنازير! متى تتعلمون النظافة!

طاف الزوايا مستخدماً حاسة شمه، وشتمني إذ كنت وقتها في دورية الحراسة.

من زاوية الممر، حيث أنزل الهنود خِرَجهم، برزت بُقعة سوداء وأزيز ذباب يحوم حولها.

ـ ياللهنود النجسين! ـ صرخ ستارسون.

وأمرني أن أفحص خِرَجهم.

في واحدٍ منها، بين أوراق الموز انتشرت رائحة كريهة. نقبتُ أنفي بمنديلي وأفرغته على الأرض. سقطت منه رزمتان. كانا رأسي براون وويللي المضرجتين بالدماء.

الجميع فكر في اليوتوريو رَيال!

ـ عريف فلوريس، أجبني! كيف كانت ملامح اليوتوريو رَيال؟

الفهرست

فهرس الكتّاب



قصص من أميركا اللاتينية

إذا كان الأدب مرايا الشعوب، وهو كذلك في الجوهر، فهذه القصص تعكس نبضاً من أحوال شعوب أميركا اللاتينية. هذه القارّة الساحرة، والفقيرة، والمنهوبة.

عشرون قصة تطلّ بنا على عالم الإنسان والغابات والأنهار والبحيرات، والشقاء البشري عبر الصراع مع الآخر والطبيعة. عالم القسوة والعنف، والبراءة، في آن.

تنفتح في القصص رؤى ووقائع غريبة، مدهشة، تكاد تضعنا على حافّة الولادة الأولى لكون غامض، مثير مفعم بالشمس ورائحة الغابات والقتل وعذاب البشر.

تكاد تتماثل عوالم أميركا اللاتينية في أحوال شعوبها وتقاليدها ومعاناتها مع أحوال بلداننا العربية. وهذا التماثل في المناخ الإنساني يجعلنا أقرب أدبياً منهم أكثر من الأدب الأوروبي أو الأميركي.

وكما يقول المترجم في مقدمته: «في هذه المنتخبات القصصية سيتعرف القارئ على أدباء من طراز رفيع لهم مكانتهم المميزة كأدباء طليعيين في أدب القارّة».

الناشر